رسائل جامعية

٧

آمال حمزة المرزوقي

النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

رسالة ماجستير في التربية الإسلامية

جامعة أم القرى – كلية التربية

عام ١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

النظرية التربوية الإسلامية

ومفهوم الفكر التربوي الغربي

الفصل الأول

تمهيد

الفصل الأول

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله . . . . . . وبعد

لا أحد من المربين أو المؤرخين يستطيع أن ينكر أن التربية الاسلامية هي الأساس المتين لحضارة المسلمين وإن المثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة في علم التربية اليوم . فقد أشاد الاسلام بالعلم والعلماء وسما بالعلم (إلى درجة العبادة) واهتم بجميع أنواع التربية الروحية والدينية والخلقية ونادى بالحرية والمساواة وتكافؤ الفرص بين الاغنياء والفقراء في التعليم وقضى على نظام الطبقات وفرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة .

وقد فتحت المساجد والمعاهد ودور الحكمة والحلقات الدراسية والمنتديات العلمية أمام الطلاب للتعلم والدراسة والبحث وقدمت إليهم الدولة الاسلامية كل ما يحتاجون إليه من طعام ومسكن وعلاج ومساعدات مالية لتمكنهم من المعيشة في الحياة والتفرغ لطلب العلم .

وما قامت حضارة الغرب الحالية والانجازات العلمية الهائلة إلا على أنقاض الحضارة الاسلامية في لحظة غفل فيها المسلمون عن أمور حياتهم العلمية والعملية ، في لحظة كان يتشوق الغرب ورجالاته إلى الانقضاض على العالم الاسلامي بخيراته المختلفة وكان لهم ما أرادوا . . استطاعوا أن ينهبوا كل خيراتنا عن طريق سيطرتهم على النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية .

ولقد كان المستعمرون غاية في الدهاء والمكر والبراعة عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين حول نوعية المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الارساليات التبشيرية التي تبعث ووضعت مناهج التعليم وألزمت وزارات المعارف والتعليم بأن تنقل مناهجها وتطبقها .

وكانت المناهج والمقررات والكتب قد أعدت تماما وكانت المناهج الاسلامية والكتب القديمة قد أبعدت إلى حد ما ، أبعدت تماما حتى لم يبق منها آثار للمراجعة التاريخية .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في شريعتهم فأقصيت عن مجال التطبيق في مجتمعاتهم وحل محلها القانون الوضعي فإن مرد ذلك إلى التعليم الذي خرج أجيالا تحتقر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم الاسلامي للاقتصاد فإنما يرجع ذلك إلى أن المسلمين والعرب درسوا في مدارس الارساليات وفي المدارس الوطنية وفي الجامعات درسوا أنظمة الاقتصاد الرأسمالي على أنها هي وحدها الأنظمة الموجودة في العالم . وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم السياسي الاسلامي فإنما يرجع ذلك إلى تلك الصور البراقة التي قد قدمت لهم في مدارسهم وجامعاتهم عن الديموقراطية والليبرالية والجماعية وغيرها من أنظمة الغرب فخدعتهم وإذا كان المسلمون قد ضعفوا في مفهومهم للعلم فإنما يرجع ذلك إلى تلك المقررات المدرسية والجامعية التي ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وفلك وعلم الحياة وتكنولوجيا إلى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور العظيم الذي قام به العلماء المسلمون في بناء أساسيات العلم والمناهج العلمية العملية والتجريبية للبشرية كلها .

وإذا كان المسلمون قد ضعفوا في مفاهيمهم الاجتماعية فإن سبب ذلك يرجع إلى مناهج التعليم التي تدرس في المجتمعات الغربية التي تقوم على إنكار فطرية الاسرة وأصالة الدين وثبات الاخلاق وتدعو إلى التطور المطلق وإلى الجبرية الاجتماعية . كل ذلك يدرسه أبناء المسلمين في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم على أنها حقائق مقررة لا على أنها نظريات مؤقتة مرتبطة ببيئاتها ومصدرها قابلة للخطأ والصواب .

ومفهوم هذا الخطر هو أن التفس الانسانية في العالم الاسلامي كله من حيث أنها انحسرت في بيوتها مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على القرآن والسنة وضعفت فيها القدوة التي تبني الشباب فإنها تسلم إلى المدرسة شباباً غضا يحس بالفراغ في مجال وجدانه وعاطفته وفكره فلا يجد إلى مفاهيم الاسلام سبيلا . . ثم إذا به يلتقي بتلك المناهج التي تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة .

وأين الفكر الاسلامي من ذلك كله والمسلمون لهم منهج حياة كامل ولهم مفهوم جامع للحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية ؟ هذا كله مما لا يزال ضائعا ولايزال ناقصا ولا يزال مهملا . . وهذا ما دعا بالباحثة إلى اختيار هذا الموضوع وهو ـ الانبهار بفلسفات الغرب وجمود النظرية الاسلامية ـ كدراسة خاصة للماجستير في التربية الاسلامية . . سائلة الله العون والقدرة على تبني مفهوم واضح للنظرية التربوية الاسلامية والدور الذي يجب أن تؤديه في توجيه الناشئة نحو الخير والصلاح في عصرنا الحالي الذي تتجاذبه مختلف الاتجاهات والآراء المتضاربة والمتصارعة والله منحنا الاسلام لحل مشكلاتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية .

تحديد المشكلة :

تتحدد المشكلة في الاجابة على السؤال التالي :

ما هي الاسباب التي أدت إلى جمود النظرية التربوية الاسلامية من ناحية انبهار المسلمين بالفلسفات الغربية ؟.

تساؤلات البحث :

والبحث يحاول أن يجيب على التساؤلات التالية :

١ ـ ما هي أبعاد المشكلة التربوية في العالم الاسلامي المعاصر ؟

٢ ـ إلى أي مدى انبهر المسلمون بالفلسفات الغربية في مجال التربية ؟

٣ ـ ما هو الدور الذي يجب أن تؤديه النظرية التربوية الاسلامية في :

أ ـ تربية الانسان المسلم .

ب ـ تربية المجتمع المسلم .

جـ ـ دور المؤسسات التربوية في تربية الانسان والمجتمع

د ـ دور وسائل الاعلام في تربية الانسان والمجتمع .

٤ ـ ما هي أخطار الغزو الفكري التربوية للعالم الاسلامي ؟

٥ ـ ما هو العلاج لهذه المشكلة التي تعاني منها الأمة الاسلامية ؟

منهج البحث :

١ ـ وصفي تحليلي

٢ـ تاريخي .

خطة البحث :

تضمن البحث الفصول الآتية :

« **الفصل الأول** » التمهيد

« **الفصل الثاني**» فلسفات الغرب التربوية :

١ ـ سقراط .

٢ ـ الفلسفة المثالية « أفلاطون » .

٣ ـ الفلسفة الواقعية « أرسطو» .

٤ ـ الفلسفة الطبيعية « جان جاك روسو»

٥ ـ الفلسفة النفعية « جون ديوي » .

« **الفصل الثالث** » الواقع التربوي للعالم الاسلامي .

١ ـ النظام التربوي في العالم الاسلامي (الادراك التربوي)

٢ ـ المناهج الدراسية .

٣ ـ اعداد المعلم .

٤ ـ طريقة التدريس .

« الفصل الرابع » النظرية التربوية الاسلامية .

١ ـ تربية العرب قبل الاسلام .

٢ ـ التربية الاسلامية .

أ - أهميتها .

ب ـ أهدافها .

جـ ـ اتجاهاتها .

د ـ مناهجها .

« الفصل الخامس » دور النظرية التربوية الاسلامية .

١ ـ اعداد الانسان المسلم .

٢ ـ اعداد المجتمع المسلم .

٣ ـ دور المؤسسات التربوية الاسلامية .

٤ ـ دور وسائل الاعلام في اعداد الفرد والمجتمع .

« الفصل السادس » جمود النظرية التربوية الاسلامية والاستعمار .

١ ـ أسباب الجمود .

٢ ـ الغزو التربوي .

٣ ـ الغزو الفكري .

٤ ـ تبني مناهج بعيدة عن الاسلام .

« الفصل السابع »

التوصيات والمقترحات .

لقد بدأ هذا البحث بالنظر في المذاهب التربوية الغربية قديمها وحديثها ، وهي التي ما زال الفكر التربوي يتأثر بها بشكل مباشر أو غير مباشر ، فمن الفكر اليوناني التربوي اخترت دراسة المناهج التربوية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو ،

حتى تظهر خصائص الفكر اليوناني التربوي وتتضح العيوب التي لم تخل منها نظرية من نظرياته .

ثم انتقل البحث من العصر اليوناني القديم إلى القرن الثامن عشر الميلادي ، فنظرت في أفكار « جان جاك روسو » التربوية وهو الذي يمثل المذهب الطبيعي في التربية ، من خلال كتابه الشهير « أميل » ثم كان هناك تقييم لأفكار روسو التي يغالي بعض الباحثين في تقدير قيمتها .

ومن القرن الثامن عشر كان الانتقال إلى القرنين التاسع عشر والعشرين حيث عاش « جون ديوي » صاحب الفلسفة النفعية في التربية ، حيث أشرت إلى أهم أفكاره ومبادئه التربوية وأصولها . . وطريقته التي تميز بها . . ثم كان لابد من نقد أفكاره وتوضيح نقائصها إلى جانب بيان ما يقبل من مناهجها وطرقها .

وبعد هذا الاستعراض كان هناك استنتاج لما بين هذه النظريات من تناقض في جوانب كثيرة فبعضها مال إلى الغلو في القيود والبعض الآخر مال إلى الغلو في التساهل والتفريط . . . وذلك لأنها جميعاً ثمرات العقل البشري القاصر ، ومن هنا أخطأت في النظر إلى الحقيقة الانسانية وأخطأت في وصف العلاج للأمراض التي تصيب الانسان .

وهذا ما يجعلنا نعتقد أنه من الضروري أن يهتدي العالم بمناهج التربية الاسلامية التي تتميز بالثبات والصدق وتصوير الطبيعة البشرية في صورتها الصحيحة وعلاج أمراضها بالدواء الناجع ، لأن التربية الاسلامية لا تعتمد على فكر بشري في أصولها بل على حقائق الوحي كما قال سبحانه : ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

وفي الفصل الثالث من هذا البحث كان النظر إلى الواقع التربوي للعالم الاسلامي المعاصر . . في النظام التربوي الذي تتبعه معظم البلاد الاسلامية حيث تبين أن العالم الاسلامي المعاصر على اتساع رقعته لم يتمكن في معظم أنحائه من اختيار النظام التربوي الأمثل وفق المبادىء التي يؤمن بها . فقد كان من نتيجة غلبة الاستعمار العسكري والاقتصادي والثقافي على كثير من البلاد الاسلامية أن انصاعت هذه البلاد إلى اتباع النظريات التربوية التي وفدت إليها من الغرب أو الشرق ،

حسب نوع الغزو الفكري الذي تأثرت به . فكان من نتيجة ذلك وجود الازدواجية التربوية والفكرية في البلاد الاسلامية . كما كان من نتيجة ذلك الفقر والمرض الذي فشا في البلاد الاسلامية وحرمان الكثير من أبناء المسلمين من التعليم فزادت نسبة الأمية في كثير من البلاد الاسلامية عن النصف ، وقد بينت في هذا الفصل أن المشكلة التربوية التي يواجهها العالم الاسلامي اليوم تتمثل في اضطرابه وحيرته أمام المنهج الذي يأخذ به ، هل يظل معتمدا على الفكر التربوي الغربي بمدارسه المختلفة . . . وهل يتابع هذه الخطوات الجديدة في اتجاهاتها المتغيرة ، أم يعود إلى تراثه الاسلامي يستلهم منه نظرية تربوية شاملة تغنيه عن الأخذ من الآخرين . فبينت مظاهر هذه الحيرة كما تبدو في كتابات بعض الباحثين التربويين المسلمين المعاصرين ، كما تبدو في النقل المباشر عن المراجع الاجنبية والتعصب للاتجاهات التربوية الغربية ، والنفور من التراث الاسلامي والدعوة إلى «عصرية التعليم » في ظل النظريات الغربية وحدها .

كما بينت في هذا الفصل الواقع التربوي للمناهج الدراسية ، في ظل هذه الازدواجية وهذا الصراع بين القديم والحديث ، وقد لاحظت أن هذه المناهج لم تبلغ هدفها في كلا الجانبين القديم والمعاصر ، فلا هي وثيقة الصلة بالتراث الاسلامي الأصيل ، ولاهي تستطيع أن تكون الاساس المتين للعقائد والمباديء الاسلامية ، كما أنها متخلفة في ميادين العلوم البحتة والتطبيقية عن التقدم السريع الذي بلغته هذه العلوم في الغرب . . إلى جانب ما فيها من تقليد للمناهج الغربية في ميادين العلوم الانسانية كالتاريخ والاجتماع وعلوم النفس والأدب ، دون مراعاة للخلافات الاصيلة بين هذه المناهج وبين الحقائق الاسلامية . . وهذا ما يجعل هذه المناهج في أغلب البلاد الاسلامية عاجزة عن تكوين المسلم القوي في عقيدته المتصل بتراثه المتمكن من علوم العصر . . المحتفظ بأصالته وقيمه .

وفي هذا الفصل أيضا عرضت طريقة اعداد المعلم ، كما هي متبعة في أكثر البلاد الاسلامية والتي تتأثر بمشكلة الفلسفة التربوية والمناهج الدراسية . فهناك معلمون في الكتاتيب والمدارس الاولية الساذجة في بعض البلاد العربية والافريقية المسلمة لا يتلقون أي قدر من المناهج التربوية . . وأما المعاهد والكليات التربوية فإنها تسير على النمط الغربي في إعداد المعلم . وكذلك أشرت إلى طريقة التدريس

التي تتأثر بنوع الفلسفة التربوية الازدواجية التي توجد في البلاد الاسلامية .

وفي نهاية هذا الفصل تبين أن الحاجة ماسة إلى الوصول إلى كلمة واحدة يرتضيها دعاة التجديد وأنصار الاصالة ، وأن غياب منهج التربية الاسلامية الصحيح القادر على مواجهة مقتضيات التغير والتطور هو المسؤول عن هذه الفوضى في مجال التربية في العالم الاسلامي وهو المسؤول عن هذا اللانبهار بفلسفات الغرب التي يحاول الشرق أن يلاحقها ويسايرها دون جدوى .

أما الفصل الرابع فقد خصصته لعرض ملامح النظرية التربوية الاسلامية ، وقد بدأ هذا الفصل بالاشارة إلى التراث العربي التربوي قبل الاسلام ، وقد بينت أنه لم يكن لدى العرب في الجاهلية نظرية تربوية ولا منهج علمي ، بل كانوا يتوارثون تجاربهم ويتبعون الأوهام والظنون ويتواصون بالاستمساك بما كان عليه الآباء والأجداد مهما كان منافياً للعقل وبعيداً عن الصواب .

وأن التربية العربية الصحيحة إنما تبدأ بعد الاسلام الذي جاء بمنهج تربوي كامل يزكيهم به ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

كما بينت في هذا الفصل ضرورة التربية الاسلامية ، ومفهومها ، وغايتها ، والاطار العام لهذه التربية ، والصلة بين التربية والتعليم في النظرية الاسلامية كما بينت في هذا الفصل مميزات العلم في الاسلام ، وإنه ملازم للانسان والمنهج العلمي في الاسلام . وكان الهدف من هذا الفصل هو جلاء الملامح الاصيلة في التربية الاسلامية حتى لا يندفع المسلمون في هذا العصر وراء التقليد لمناهج الغرب التربوية ، مع أن في تراثهم ما هو خير لهم وأشبه بحياتهم ومميزات سلوكهم وأخلاقهم .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن دور النظرية التربوية الاسلامية في اعداد الفرد المسلم والمجتمع المسلم . كما تحدثت عن دور المؤسسات التربوية الاسلامية وعن دور وسائل الاعلام وأثرها في الفرد والمجتمع .

وفي الفصل السادس تحدثت عن الجمود الذي أصاب النظرية التربوية الاسلامية في العصور المتأخرة نتيجة للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية

مما جعل المدارس والمعاهد عاجزة عن الوفاء بحاجات المجتمع ، وخاصة في أواخر عهد الدولة العثمانية ، ومن هنا فتح الطريق أمام مدارس التبشير والغزو الفكري في المجتمع الاسلامي .

وقد بينت في هذا الفصل أن الجمود كان بسبب إهمال الفكر الاسلامي الصحيح ، نتيجة للفصل بين العلم والمجتمع ، والاهتمام بالقواعد والنظريات وإهمال الملكات والخبرات . . فأصبح التحصيل العلمي مقصودا لذاته وانحصر في دائرة مغلقة وأحاط به الغموض والتعقيد .

كما بينت أخطار المدارس التبشيرية وصلتها بالغزو الفكري للعالم الاسلامي والآثار السيئة التي نشأت عن الأخذ بالمناهج التربوية البعيدة عن الاسلام .

كما كان الفصل السابع خاصا بالتوصيات والمقترحات التي ظهرت من خلال هذا البحث .

وهكذا فإن هذا البحث يسهم في الدعوة إلى توضيح معالم النظرية التربوية الاسلامية في هذا العصر ، حتى يكون فيها غناء للمسلمين، وحتى لا يضطروا للتقليد والمتابعة لغيرهم ، لأن (التربية الاسلامية) مسألة من المسائل الاجتماعية ذات العلاقة بكيان الأمة وأصالتها ، ولا ينفع فيها المتابعة لاتجاهات أخرى بعيدة عن روح المجتمع .

وأسجل هنا ان المراجع في ميدان التربية الاسلامية لاتزال قليلة وأكثرها متشابه إلى جانب ما في بعضها من خلط بين الاتجاهات التربوية وبين تاريخ النظم التعليمية ، كما نبهت إليه في موضعه .

وقد رجعت إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وإلى كتب التفسير وشروح الأحاديث ، في محاولة للاستمداد المباشر من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ففيهما الخير كله ، وفيهما أصول العقيدة والشريعة الاسلامية في كل جوانبها .

والله الموفق للخير والهادي إلى الصواب .

- الفصل الثاني -

فلسفات الغرب التربوية

* سقراط
* أفلاطون وفلسفته المثالية .
* أرسطو وفلسفته الواقعية .
* جان جاك روسو وفلسفته الطبيعية .
* جون ديوي وفلسفته النفعية .

الفصل الثاني

فلسفات الغرب التربوية

مقدمة :

تميزت التربية اليونانية عن التربية الشرقية في الهند والصين والفرس وقدماء المصريين بروح التجديد والابتكار والحرية الفردية .

فقد أفسح اليونان المجال واسعا لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية والخلقية والعلمية والفنية وجعلوا غاية التربية عندهم : أن يصل الانسان إلى الحياة السعيدة الجميلة وكان مثلهم الأعلى : تحقيق الانسجام بين الكمال الروحي والكمال الجسدي .

وليس هذا الحكم على اطلاقه . . . . .

فهذه الحرية التربوية تنطبق على التربية في أثينا أكثر مما تنطبق على التربية في أسبرطة ، ففي أثينا كانت العناية موجهة إلى الروح والجسد معا مع شيء من الترجيح للجانب الروحي إذ كان الشعب في أثينا يتذوق الفنون البلاغية والأدبية أحسن تذوق .

أما في أسبرطة فقد كانت القوة الجسدية والقدرة الحربية هي موضع العناية . . إذ كان هدف التربية لديهم تكوين ابطال وجنود . . مما أورثهم الشدة وغلظة الطبع مع الشجاعة والبسالة[1] .

---

(١) التربية عبر التاريخ للدكتور عبد الله عبد الدائم ص ٥٣ و ٥٤ الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ط دار العلم للملايين - بيروت

وقد كانت التربية في أسبرطة متأثرة في طبيعتها وأهدافها ووسائلها بالظروف الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لولاية أسبرطة في ذلك العصر .

فقد كانت منعزلة عن التيارات الخارجية بسبب بعدها عن البحر وكونها منطقة سهلة تحيط بها الجبال من كل جانب ، ولهذا اهتمت باعداد جيش قوي على الدوام للدفاع عن كيانها ولتدعيم سلطتها وفرض سيطرتها في الداخل والخارج فكان المثل الأعلى للتربية عندهم هو تكوين مواطنين محاربين . . ولهذا اتجهت العملية التربوية في أسبرطة لتحقيق هذا المثل الأعلى .

ولتحقيق هذه الاهداف كانت عنايتهم فائقة بالتربية البدنية التي كانت تشمل التمرينات الرياضية والتدريبات العسكرية .

أما التربية العقلية والتربية الفنية فلم تولها التربية الاسبرطية عناية تذكر ، فلم تهتم بتعليم القراءة والكتابة ولم تجعل الغاية من حفظ الشعر والاناشيد تربية الذوق الفني ، بل كانت الغاية أن تبعث في نفوس الأفراد الاعتزاز بماضي بلادهم وعظمة أبطالهم .

أعلام التربية اليونانية :

وقد ظهر في عصر ازدهار الديمقراطية الاثينية جماعة من كبار الفلاسفة حاولوا العمل على اصلاح شؤون التربية بالتوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . ومن أشهر فلاسفة اليونان في هذا العصر والذين كان لهم أكبر الأثر في تطور النظرية التربوية : سقراط وأفلاطون وأرسطو .

سقراط

عاش سقراط بين عامي ٤٨٠ ـ ٣٩٩ قبل الميلاد ، وإليه يرجع الفضل في تحول الفلسفة إلى دراسة النفس البشرية والمجتمع الانساني[1] .

وقد كانت الفلسفة قبله منفصلة عن الحياة العملية ، وكان الفلاسفة

---

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية للدكتور عمر محمد التومي الشيباني ص ٣٠ الطبعة الثانية ١٩٧٥ دار الثقافة ـ بيروت

مشغولين بدراسة الفلك وعناصر الطبيعة .

وهذا الانفصال كان سببا في عدم كفاية التفكير الفلسفي القديم ولهذا عندما جاء سقراط وحاول أن يربط الفلسفة بالانسان وبالمجتمع اعتبر هذا الاتجاه الجديد منه تجديدا في مفهوم الفلسفة وفي مفهوم التربية في الوقت ذاته[1] .

وكان سقراط يرى أن موضوع الفلسفة هو البحث في الانسان من جهة اخلاقه وتقاليده وأحواله الاجتماعية ابتغاء خيره وسعادته بمعرفة طبيعته الحقة ، لاباتباع العرف السائد والعقائد البالية . وغاية الفلسفة في نظره هي صياغة النفس الانسانية وطبعها على الحق والخير والجمال وتحقيق مجتمع أفضل .

والوسيلة التي تعتمد عليها الفلسفة في تحقيق غاياتها هي التربية[2] وقد أقام سقراط فلسفته ومنهجه التربوي على الحكمة الشهيرة « اعرف نفسك بنفسك قبل كل شيء » وهو وإن قرأ مبدأ السوفسطائيين القائل بأن « الانسان هو مقياس الاشياء جميعا » فإنه كان يخالفهم بقوله بوجود حقائق عامة ، وبأن للاخلاق حقائق ثابتة تقوم عليها وتقاس بها أعمال الانسان ، وبأن الاساس الصحيح للمعرفة هو العقل وليست الحواس ، وما دام العقل هو أداة المعرفة فإن الحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس جميعا يرونها بمنظار واحد هو العقل الذي يجمع بين الجواهر والصفات الذاتية دون الاغراض والشخصيات .

لقد أراد سقراط أن يصلح ما أفسده السوفسطائيون وأن يعيد إلى العقول ثقتها بالحقيقة والمعرفة وإيمانها بالفضيلة والخير وأن الفضيلة لا تكون إلا بالعلم ، فجعل هدفه الأول أن يهدي إلى الفضيلة عن طريق العلم والمعرفة[3] .

قضى سقراط حياته في التعليم وفي تلقين المعرفة ولم يسجل أفكاره ونظرياته في كتب أو رسائل بل كان يعرضها في الطريق حيث يلقى الناس يحاورهم ويناقشهم

---

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية للدكتور عمر محمد التومي الشيباني ص ٣٠ الطبعة الثانية - دار الثقافة - بيروت .

(٢) جون ديوي للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ص ٣٦ ، ٣٧ دار المعارف بمصر .

(٣) التربية عبر التاريخ ص ٥٩ « مرجع سابق »

فيما كان يرى من المسائل التي أثارها السوفسطائيون والشعراء والكتاب والساسة . وكان يغشى الساحات العامة والاماكن والأسواق ويناقش الرؤساء وأصحاب الحرف ، وكان يكثر من السؤال في كل ما كان يغشاه وكان السؤال لديه فنا وكان الحوار منهجا وقلما كان يستخدم طريقة التعليم المباشر أو الالقاء ، بل كان ينهال على مخاطبه بالأسئلة الدقيقة حتى يضطره إلى الاعتراف بالحقيقة، أو يكشف له خطأه . . وكان ذا فن في تحليله ودقة في محاكاته وبساطة في لغته وكانت أمثلته مستقاة من الحياة الواقعية .

وقد سلك سقراط سبيل التهكم في حواره فكان يلقي السؤال وكأنه راغب حقا في المعرفة ، فإذا ما أجيب جوابا خاطئا لم ينكره ولم يعترض عليه بل تظاهر بالموافقة على أفكار خصمه وآرائه كيما يضطره بأسئلته الماهرة إلى أن يقول كل ما يعرف ويستعلن على الناس بحماقته فينتهي إلى نتائج متناقضة مخالفة للمنطق والعقل يفقد معها قدرته . فيفحم ويعترف بخطئه(١).

كما سلك سقراط طريقة توليد الافكار إذ كان يؤمن أن الفكر البشري قويم بطبعه قادر على أن يكتشف الحقائق من تلقاء ذاته إذا عرفنا كيف نقوده وننبهه لهذا كان يلجأ إلى ما لدى المتحدث من عفوية ويسير به خطوة خطوة إلى الرأي الذي يود أن يلقيه إليه .

وكان يستخدم هذه الطريقة للبحث عن الحقائق النفسية والخلقية والدينية وكان يعلن أنه يود أن يشهد مخاض الافكار . . ومن أمثلة هذا التوليد ما نجده في محاورة « مينون » التي يثبت فيها سقراط أن المعرفة موجودة لدى العبيد كما هي موجودة لدى الأحرار(٢) .

أفلاطون : (٤٢٩ - ٣٤٧ ق . م)

يمثل أفلاطون الفلسفة المثالية في التربية ، وقد تتلمذ أفلاطون في فترات

---

(١) تراجع الأمثلة في التربية عبر التاريخ ص ٦١ - ٦٣

(٢) تطور النظرية التربوية لصالح عبد العزيز ص ١٢٤ - ١٣٣
وتطور النظريات والأفكار التربوية للدكتور عمر التومي ص ٣١ - ٣٢
والتربية عبر التاريخ ٦٣ - ٦٤

متعاقبة من حياته على كل من اقراطيليوس Cratyle ، وهرقليطس Heraclite وسقراط وأقليدس الميغارى الذى كشف له عن الفيثاغوريين الذين كانت لنظرياتهم الرياضية أثر في تطور فكره وقد اتسع نطاق الفلسفة عند أفلاطون فلم تعد تبحث في الكون الطبيعي وحده كما كانت عند الفلاسفة الطبيعيين أو في الإنسان وحده كما كانت عند سقراط . وإنما أصبحت عنده تبحث في الكون وفي الإنسان وفي غيرهما من القضايا .

وقد تأثر أفلاطون باستاذه سقراط في آرائه الفلسفية وفي طريقته العامة فقد لازمه ثمانية أعوام كان خلالها مقربا لديه يستمع إلى مناقشاته ومحاوراته ويدون الكثير من آرائه .

ومن هنا اقتفى أفلاطون خطوات استاذه سقراط في جعل الفلسفة متصلة بالانسان وبشؤون المجتمع ، كما آمن بما دعا إليه سقراط من ضرورة وضع قانون اخلاقي يعيد للمجتمع الاغريقي مجده القديم ، لا تتعارض فيه مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة ، كما أقر أفلاطون مبدأ استاذه سقراط بأن المعرفة هي أساس الفضيلة وأن الهدف الاساسي للفلسفة والتربية هو اصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الانسانية على الحق والخير والجمال كما اتخذ طريقة الحوار والمناقشة أساسا لكتابته وتعليمه تأثرا بأستاذه سقراط .

وقد بلغ من شدة تعلق أفلاطون باستاذه سقراط وتشيعه لاسلوبه في الحوار والبحث . . أن جعله قطب محاوراته في كتبه جميعا . . يجري الحوار على لسانه ويعرض آراءه ونظرياته وتعاليمه من خلال محاورات سقراط ورغم ما بين آراء أفلاطون وسقراط من تباين واضح وفروق ظاهرة إلى حد أن الحوار في كتاب (الجمهورية) يبدأ سقراطيا وينتهي أفلاطونيا ، فإن أفلاطون كان ولاشك يعتقد أن سقراط هو مصدر كل آرائه وأفكاره[١] .

إلا أن مؤثرات أخرى تعرض لها أفلاطون جعلته يختلف في كثير من آرائه ونظرياته عن استاذه سقراط من بين هذه المؤثرات نشأته الارستقراطية والضعف

(١) مقدمة كتاب جمهورية افلاطون ، لنظلة الحكيم والدكتور محمد مظهر سعيد ص ١١ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف ـ القاهرة

الذي اعترى أثينا في عصره ، ومعاصرته للحرب الطويلة التي دارت بين أثينا وأسبرطة وما نشأ عنها من فوضى وتمزيق للانسجام والوحدة في الدولة وهجرته ورحلاته خارج بلاد اليونان ودراسته للمذاهب الفلسفية الشائعة في عصره بما فيها مذاهب الفلسفة الشرقية كالهندية والفارسية .

وهذه المؤثرات قد جعلت أفلاطون مختلفا في بعض جوانب فلسفته ونظرياته التربوية عن استاذه سقراط . . إذ كانت آراء سقراط أقرب إلى روح الديمقراطية والبساطة .

مفهوم التربية عند أفلاطون :

كان أفلاطون يرى أن التربية عملية تدريب أخلاقي أو هي المجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير[1] .

أما أفكاره في التربية فإننا نجدها بوجه خاص في كتاب الجمهورية وفي كتاب القوانين ، كما نجدها مبثوثة في ثنايا محاوراته وكتبه الأخرى .

جمهورية أفلاطون :

يصف روسو جمهورية أفلاطون بأنها من أجمل ما كتب في التربية[2] ويرى بعض الباحثين أن هذا الحكم لا يخلو من مغالاة فهي في جملتها ليست إلا«يوتوبيا» من نسج الخيال أو مدينة فاضلة ومزيجا من البدع والأوهام فالفرد فيها والاسرة مسخران للدولة ، والمرأة مشابهة للرجل تمام المشابهة ، إلى حد أنها تخضع للتمرينات الرياضية التي يخضع لها ، أما الأطفال فلا يعلمهم أباهم ولا أمهم - إذ يوكل أمرهم إلى مرضعات عامات وتمنع أي أم من أن ترى سلالتها[3] .

وقد آثرت في هذا البحث الرجوع إلى النص العربي المختصر لترجمة كتاب جمهورية أفلاطون الذي قام بترجمته الدكتورة نظلة الحكيم والدكتور محمد مظهر

(١) تطوير النظريات والأفكار التربوية ص ٣٣ « مرجع سابق »
(٢) التربية عبر التاريخ ص ٦٥
(٣) المصدر نفسه

سعيد[1] . . وفيه يقول أفلاطون عن الاطفال : « وبمجرد أن يولد الاطفال يتسلمهم ضباط معينون لهذا الغرض ، من الرجال أو النساء أو الاثنين معا لأن وظائف الدولة ستكون مشتركة بين الرجال والنساء ويأخذ هؤلاء الضباط أبناء الوالدين الاخيار ويضعونهم في المربيات العامة في رعاية حاضنات خاصات يعشن متفرقات في حي خاص بالمدينة ، أما نتاج الوالدين المنحطين وجميع الاطفال الناقصي التكوين فتخفيهم في مخبأ سري غير معروف . ويشرف الضباط على تنشئة الاطفال فيحضرون الامهات إليهم عندما تمتلىء أثداؤهم ، مع أخذ الاحتياط بحيث لاتعرف الام ولدها ويستخدمون مرضعات أخريات إذا لم تكف الامهات وتحدد المدة التي ترضع فيها الأمهات الاطفال ، ويعهد للمرضعات والخادمات بمهمة السهر على الاطفال ومواجهة متاعب الطفولة الأخرى .

وينبغى أن يكون الاطفال نتاج والدين في ريعان الحياة وهو سن العشرين للمرأة والثلاثين للرجل ، وتحمل النساء الاطفال للدولة إلى سن الأربعين وينجب الرجال حتى سن الخامسة والخمسين »[2] .

ويرى أفلاطون في جمهوريته ـ على لسان سقراط ـ أنه لا فرق بين المرأة والرجل في نظام التعليم ، وفي وظائف الدولة فيقول عن تعليم المرأة :

« فلن يكون هناك نظام لتعليم الرجال ونظام آخر لتعليم النساء ما دامت الطبائع واحدة في الحالتين ، وهل هناك شيء أفضل للدولة من أن تضم أصلح الرجال وأصلح النساء وأن تحصل على هذه النتيجة بالموسيقى والجمباز»[3] .

ويقول عن الوظائف : « ليست هناك وظيفة واحدة من وظائف تنظيم الدولة تخص المرأة كامرأة ولا الرجل كرجل فالهبات الطبيعية توجد هنا وهناك في الجنسين على السواء ، والمرأة في حدود طبيعتها تستطيع أن تمارس كل شيء كالرجل تماما حتى ولو كانت أضعف من الرجل فيها جميعا » .

أما عبء التربية فهو واجب قومي يتحمله فلاسفة المستقبل ولكننا نحن

---

(١) دار المعارف ـ الطبعة الثالثة .

(٢) جمهورية افلاطون ص ٨٩ ـ ٩٠

(٣) جمهورية افلاطون ص ٨٧

الذين أنجبناكم من أجل الدولة ومن أجل أنفسكم ، لتكونوا قواد الخلية وملوكها ، وجعلناكم أفضل من البقية وأكمل وأصلح للعب دوركم في شؤ ون الحياة فينبغي أن تنزلوا بالدور وتخالطوا بقية المجتمع[1].

الدراسات والعلوم :

ومن هنا يرى أفلاطون في جمهوريته أنه ينبغي تدبير نوع الدراسة الذي يحوي القوة المطلوبة وينزع لأن يجذب النفس من العرضي للحقيقي . . . « قلنا: إن تلاميذنا يجب أن يدربوا على الحرب من شبابهم ، فالعلم الذي نبحث عنه يجب أن يتضمن هذا الوجه ، وقلنا: إننا ندربهم عن طريق الموسيقى والجمباز ، والجمباز يتناول المتغير الزائل لأنه يشرف على نمو الجسم وانحلاله فليس الجمباز إذن هو الدراسة التي ننشدها والموسيقى نظير الجمباز لأنها تدرب الحواس عن طريق العادة، فلا تعطيهم علما وإنما نوعا من الانسجام والقياس فهي لا تحوي فرعا من الدراسة التي نطلبها .

فلنأخذ إذاً نوعا من الدراسة العامة يمكن تطبيقه بطريقة كلية وتنهل منه جميع الفنون وسلاسل الأفكار والعلوم ويكون أيضا من أوائل الاشياء التي ينبغي أن يتعلمها كل انسان ، وأشير إلى العمليات المعتادة التي تميز بها الاعداد ونسميه باختصار (العد والحساب) لأن كل فن وعلم متعطش بالضرورة لشيء منه وهو يبدو بطبعه واحدا من الدراسات التي تدعو للتأمل الذي نتساءل عنه ومع ذلك فلا أحد يحسن استعماله ، كشيء ينزع كلية لخبرتنا نحو الوجود الحقيقي فينبغي أن يكون علم الاعداد واحدا من الدراسات التي ننشدها فالرجل العسكري يجد فيه المعرفة اللازمة لتنظيم جنده ، والفيلسوف يدرسه لأنه مضطر للصعود من المتغير والتعلق بالحقيقي وبغير هذا لا يمكن أن يصير أبدا مفكرا ماهرا . . وحارسنا جندي وفيلسوف في الوقت نفسه[2] » .

ويعلي أفلاطون من شأن علم الحساب ويرى أنه يجب تقرير دراسته بالأوامر التشريعية وخاصة بالنسبة للذين قدر لهم أن يأخذوا نصيبا من مهام الدولة الثقيلة

---

(١) جمهورية افلاطون ص ١١٩

(٢) جمهورية افلاطون ص ١٢١

« حتى يصلوا بفضل العقل المحض إلى تأمل طبيعة الاعداد ولا نقصد البيع والشراء كالتجار وأصحاب الحوانيت ، ولكن لاغراض الحرب ولتيسير انتقال النفس ذاتها من المتغير إلى الحق والحقيقي ، فهو علم يجذب النفس بقوة إلى أعلى ويضطرها إلى التفكير في الاعداد المجردة وهكذا يضطر إلى استخدام الذكاء الصرف في طلب الحق الصرف»[1] .

وبعد الحساب ينتقل أفلاطون إلى علم الهندسة . . فيرى « أن هذا العلم يطلب كلية من أجل معرفة ما هو كائن أبديا وليس ما يأتي لحظة ثم يزول وإذا كان الأمر كذلك فإن الهندسة ينبغي أن تجذب النفس نحو الصدق ، وتعطي اللمسة الأخيرة للروح الفلسفية »[2].

ويجعل أفلاطون دراسة الفلك في المرتبة الثالثة بعد الحساب ـ والهندسة . ويرى أن تكون دراسة الفلك كدراسة الهندسة عن طريق المسائل ويرى أنه من السخف بذل جهود خارقة للعادة لمحاولة فهم حقيقة الاجرام السماوية . .« ولكن ندع الاجرام السماوية وشأنها لو قصدنا أن نعرف الفلك حقا . . وبهذا نحول ذكاء النفس الطبيعي من شيء عديم النفع إلى شيء نافع »[3] .

وبعد الفلك يأتي علم المنطق . . « وأستطيع أن أقرر أن ملكة الجدل المنطقي هي وحدها التي تجلو الحق والصدق لمن يكون استاذا في العلوم التي عددناها ولا يمكن أن تأتي المعرفة بأي طريقة أخرى[4]».

وبغير دراسة المنطق لا يسمح أفلاطون لهؤلاء الاطفال الذين لم يدرسوه بأن يكونوا قضاة في الدولة ، أي لا يراهم أهلا لتولي مسؤولية الحكم .

« وإذن فلو وكل إلينا فعلا تدريب أولئك الأطفال الذين نشرف على تربيتهم نظريا فلن نسمح لهم أن يكونوا قضاة في الدولة لهم سلطة البت في الأمور ذات الوزن إن كانوا غير منطقيين كخطوط القلم ، وسنصدر بلا شك قانونا يأمرهم أن

---

(١) جمهورية افلاطون ص ١٢٤
(٢) نفس المرجع ص ١٢٢ ـ ١٢٣
(٣) نفس المرجع ص ١٢٣
(٤) المرجع نفسه ص ١٢٣

يسلموا أنفسهم للتربية التي تمكنهم من استخدام أسلحة المنطق بأفضل طريقة، فالمنطق يقف على قمة جميع العلوم ، ومن الخطأ أن نضع علما آخر فوقه ، وبهذا تكون المجموعة قد تمت »[1] .

هذه هي العلوم التي يراها أفلاطون ضرورية لتربية طبقة الحكام والفلاسفة وهي أعلى طبقة في جمهورية أفلاطون أو مدينته الفاضلة .

قواعد اختيار التلاميذ :

يرى أفلاطون ضرورة الاختيار في هذا النظام من التربية بمعنى البحث عن شروط خاصة فيمن يتلقون هذا اللون من الاعداد التربوي فيقول :

« وينبغي أن نحدد الاشخاص الذين تعين هذه الدراسات لهم ونبدأ في توزيعهم ونقدر الصفات التي تؤهل أصحابها للاختيار ونحن ملزمون بتفضيل أكثرهم ثباتا ورجولة ، وأحسنهم منظرا على قدر المستطاع ولكن بالاضافة إلى هذا وفوق أن يكونوا ذوي طبيعة خلقية نبيلة وحازمة فإنهم ينبغي أن يحوزوا الصفات المناسبة لهذا النظام من التربية فتكون لهم عوناً لدراساتهم ويتعلمون بسرعة لأن الدراسات المناسبة تجهد العقل يقيناً أكثر من تمارين البدن »[2] .

حرية المنهج والطريقة :

ويرى أفلاطون أن طريقة التعليم ينبغي أن تصل إلى النفس بصورة لا تجعل التلميذ مكرها في تلقيه للعلوم فيقول :

« مع العناية بوضع التعليمات في شكل لا يجعل التعليم اجباريا ، إذ يجب ألا يكون في دراسة الرجل الحر أي أثر للعبودية وأعمال البدن الاجبارية ليس لها في الحق أي أثر على البدن ، ولكن في حالة العقل . . كل دراسة تتم بالاجبار لا تثبت جذورها في الذاكرة »[3].

---

(١) جمهورية افلاطون ص ١٢٥
(٢) جمهورية افلاطون ص ١٢٥
(٣) جمهورية افلاطون ص ١٢٦

اللعب والتربية :

ومن هنا يرى أفلاطون ضرورة استخدام وسائل اللعب المناسبة لاستعدادات الطفل لتكون طريقة إلى ربطه بحقائق العلوم . . كما أن هذه الالعاب تكون فرصة لاختيار استعدادات التلاميذ ومعرفة اتجاه اخلاقهم فيقول في جمهوريته :

«لذلك يجب أن ندرب التلاميذ في دروسهم بطريقة اللعب من غير إكراه ، ونهدف كذلك لمعرفة اتجاه اخلاقهم فنضع قائمة اختيار تحوي كل من أظهر ضبطا ممتازا للنفس وسط هذه الأعمال والدراسات والأفكار »[1].

أثر البيئة :

ويرى أفلاطون أنه من الضروري ابعاد الاطفال الذين يختارون لتلقي هذه الدراسات ليكونوا في المستقبل فلاسفة وحكاما ـ عن البيئة السيئة ـ التي تؤثر في اخلاقهم تأثيرا غير مرغوب فيه . « وكل من يتجاوز العاشرة من أبناء المدن ينبغي أن يرسل للريف ويربوا بعيدا عن تأثير الخلق الذي يسود آباءهم من العامة أو الجهلة ويتعلمون عادات الفلاسفة الحقيقيين وقوانينهم[2] » .

الدولة والتربية :

يرى أفلاطون أنه « ينبغي للدولة إذا أرادت أن يكون دستورها كاملا أن تعترف بمجتمع النساء ومجتمع الاطفال وبالتربية في جميع فروعها »[3] .

ويرى أفلاطون أنه من واجب الدولة أن توجه أساليب الاعلام المؤثرة في حياة الناس حتى لا تهدم المجتمع إن هي سارت في طريق معوج والشعر في ذلك العصر كان أقوى وسائل التأثير . . ولهذا يقول أفلاطون :

« فينبغي أن نراقب الشعراء ونحملهم على أن يبرزوا في انتاجهم صورة الخلق الخير ، وإلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف وأن يمتد الاشراف إلى أساتذة جميع الحرف الأخرى بالمثل ونمنعهم من إبراز الوضاعة والانحلال الخلقي والتسفل

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٦ ـ ١٢٧

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

(٣) جمهورية افلاطون ص ١٣١

وكل ما تكون طبيعته شريرة وبالجملة تقضي على من لا يستطيعون أن يفعلوا غير هذا بعدم العمل في مدينتنا حتى لا ينشأ حراسنا بين صور الرذيلة فتتجمع في نفوسهم الباطنة كتلة كبيرة من الشر دون أن يشعروا وبالعكس ينبغي أن نبحث عن فنانين من طراز آخر يستطيعون بقوة النبوغ أن يتتبعوا طبيعة الشيء العادل الوقور فيستطيع الشباب أن يستقي الخير من جميع منابعه في المنطقة السليمة التي يقطنونها ، فيأخذ بعيونه وآذانه كل ما ينبثق من الاعمال الشريفة . . وبهذا نكسبهم منذ طفولتهم المبكرة وبطريقة غير ملحوظة الحب والانسجام إلى جانب المجال الحي للفكر »[1].

السلوك الخلقي :

يحارب أفلاطون في تصوره للمدينة الفاضلة المسكرات حرصا على مصلحة المجتمع ويقول: إن الشخص الذي نحن بصدد تربيته يجب أن نجنبه المسكر لأن الحاكم الوصي هو آخر شخص في الدنيا يسمح له بأن يسكر حتى لا يعرف أين هو ، ومن السخف أن يحتاج الحارس إلى حارس يحرسه[2].

كما ينهي أفلاطون عن الاباحية ويقول :

«وليست هناك لذة أكبر ولا أعنف من التي تصاحب الانحراف في شهوة الحب فهي أقرب صلة بالجنون، ولكن من طبيعة الحب المشروع أن يطلب الشيء المنتظم الجميل في مزاج متئد منسجم ، إذن لاشيء وثيق الصلة بالجنون أو الاباحية يقارب الحب المشروع »[3].

ومع ذلك فقد أخطأ أفلاطون أشد الخطأ حين نادى بالشيوعية في الاعراض فرأى أن جميع النساء بلا استثناء ينبغي أن يكن زوجات مشتركات لهؤلاء الرجال بحيث لا يكون لكل واحد منهم زوجة خاصة به ، وبالمثل يكون الاطفال مشتركين فلا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ ـ ٥٦

(٢) المصدر السابق ص ٥٨

(٣) جمهورية افلاطون ص ٥٨

كتاب القوانين :

أما كتاب القوانين فقد كتبه أفلاطون في شيخوخته ولهذا فقد تخلى فيه عن الروح الخيالية التي تتسم بها جمهوريته . . وخفف من غلواء مثاليته البعيدة عن الواقع . . ومن هنا نجده قد تخلى في كتاب القوانين عن التمييز بين طبقات المجتمع وحاول أن يضع مباديء عملية دقيقة تطبق على جميع الاطفال على حد سواء .

وتتجلى هذه الروح الواقعية في تعريفه للتربية وغاياتها إذ يقرر في كتاب القوانين : « إن التربية الحسنة هي تلك التي تهب للجسد والنفس كل ما يمكنها من جمال وكمال »(١) . وقد كان أفلاطون حائرا في وسائله بين مذهب الجهد ومذهب التشويق فهو يقول حينا « إن التربية نظام مطاع يقود نفس الطفل عن طريق اللعب إلى أن تحب ما سيحقق كمالها ، ويقرر أن الفكر الحي ينبغي ألا يستعبد وهو يتعلم . . والدرس الذي يدخل إلى النفس قسرا لا يمكث فيها فحذار من استخدام القسوة مع الأطفال وليكن هدفك على العكس أن تثقفهم وهم يلعبون » .

وحينا آخر ينكر ضعف الآباء الذين يحاولون أن يجنبوا أبناءهم كل ألم ونصب فيقول : « إنني على اقتناع من أن هذا الحرص على ترنيق أذواق الأطفال هو أفسد شيء لهم » .

وفي كتاب القوانين يبين أفلاطون بعض المناهج التي يراها في التربية فيمدح الالعاب الطبيعية التي يجيدها الطفل من تلقاء ذاته وينصح الفتيان بألعاب الفروسية والقوس والحراب ويرى أن تؤخر القراءة والكتابة إلى سن العاشرة حيث يتلقاها الطفل بعد ذلك لمدة ثلاث سنوات

وفي كتاب القوانين ـ رغم واقعيته ـ عناية بالاخلاق ونشدان للقيم السامية في نظر أفلاطون .

نقد منهج أفلاطون في التربية :

يرى بعض الباحثين أن الآراء التربوية التي أوردها أفلاطون في جمهوريته هي

---

(١) التربية عبر التاريخ ص ٦٩

آراء دكتاتورية النزعة ، موجهة كلها نحو التربية الحربية[1] . ويرى آخرون أن الروح العامة لجمهورية أفلاطون هي روح أميل إلى الديمقراطية إذ يقررون أن الغاية النهائية التي يهدف إليها أفلاطون من التهيئة الحربية للمواطنين ومن تكوين حراس للجمهورية أشداء جديرة بأن تقلب معنى هذه التهيئة الحربية . إذ أنه يرى أن غاية التربية أولاً وأخيراً هي رؤ ية الخير الذي هو أصل كل حقيقة وفهم الجمال والمثل الأخرى .

وفي الحق أن عناية أفلاطون بالتربية في مدينته الفاضلة إنما ترجع إلى أنه حاول أن يحل مشكلة الفوضى وعدم الانسجام ومن هنا رأى الحل في تكوين الحكام الفلاسفة وفق هذا المنهج الذي عرضناه من قبل .

وإذا كان أفلاطون مثاليا أو خياليا في بعض أفكاره فإنه يرتبط بالواقع عن طريق البحث عن المنفعة وإبقاء مصلحة المجتمع كما يراها لأن النافع في نظره هو الشريف والمضر هو الدنيء .

ولكن بعض الباحثين مازالوا يرون أنه مما يعاب على أفلاطون « نزعته المثالية ومبالغته في تقدير العنصر العقلي والعنصر الادبي على حساب الجانب العملي في التربية وعلى حساب الناحيتين الوجدانية والارادية ونزعته الارستقراطية »[2] .

ويقول الدكتور سعد موسى أحمد . . « ينظر بعض المفكرين لآراء أفلاطون التربوية على أنها أفكار خيالية تقصد عالما مثاليا كالمدينة المثالية التي يحلم بها ، ولكن أحدا لا ينكر مدى ما لفلسفته من اشعاع غمرت به البشرية حيث أفادتها بخيرها وعدالتها وجمالها[3] » .

ثم يقول الدكتور مرسي أيضاً : « ويلوح أن القلة هي التي فهمت عمق نوايا أفلاطون ، فرأى الغالبية أن مبادئه التربوية غير عملية ولا تصلح للمربي[4] » . . . أي أن يقول : « ويجد المربون صعوبة أو حتى استحالة في تنفيذ

---

(١) التربية عبر التاريخ ص ٧٢

(٢) الثقافة والتربية في العصور القديمة ـ تأليف وهيب سمعان ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٣ م .

(٣) نفس المرجع ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥

(٤) تطور الفكر التربوي ص ١٣٢

آراء أفلاطون التي غلفت بالمثاليات « اليوتوبيا » ومن المحتمل أنه هو نفسه كان يتبسم أحياناً للصورة المشرفة المتفائلة والخيالية التي كان يحلم بها »(١).

وهكذا تتضح لنا الجوانب السلبية في نظريات أفلاطون التربوية كما تضمنها كتابه عن المدينة الفاضلة ، ففيها يظهر التمييز الطبقي .. بين الأحرار والعبيد كما يظهر التمييز بين الفلاحين والصناع والمحاربين والحكام .. « أما الفلاحون والصناع فمحرومون في جمهوريته من كل تربية ، وحسبهم أن يتعلموا مهنة من المهن ذلك أن أفلاطون أرستقراطي في نظرته السياسية يحقر الشعب (ذلك الحيوان القوي العصي) ولعل ذلك راجع إلى نشأته الارستقراطية »(٢).

وفي هذه النظريات امتهان للمرأة حين ينادي أفلاطون بشيوعية النساء ويجعلهن زوجات مشتركات لكل الرجال المختارين للتربية في جمهوريته وفي هذا هدم لبناء الاسرة وقضاء على النزعات الفطرية لدى الآباء والامهات وحرمان للطفولة من الرعاية الحانية التي لا يستطيعها إلا الابوان نحو الصغير الذي ينتسب إليهما .

وحرمان الطفل من حنان والديه يثير في نفسه من الخلل ما لا يستطاع علاجه بعد ذلك بأي وسيلة أخرى . ولهذا كان من توجيهات القرآن .... أن ينسب الانسان إلى أبيه .... تقريرا لحقه في رعايته والانتماء إليه كما قال سبحانه ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾(٣) . أما ما نادى به أفلاطون من شيوعية النساء وشيوعية الاطفال بحيث لا يعرف الابن والده ولا الولد أباه ، فهو جناية خطيرة على الابوة والامومة والطفولة وقد أثبت علم النفس في عصرنا هذا أن مشاعر الابوة والامومة ومشاعر الطفولة نحوها لا يمكن اخمادها أو القضاء عليها فإذا حرم منها الانسان سرى الاضطراب في كيانه النفسي وظهرت لديه علامات التفكك والتخاذل .

ومن الجوانب السلبية في نظريات أفلاطون التربوية كما يصورها كتابه الجمهورية : القسوة المتناهية في إعدام الاطفال غير الأصحاء ..... إذ لا يعطيهم

(١) المصدر السابق
(٢) التربية عبر التاريخ (مصدر سابق) ص ٦٧
(٣) سورة الأحزاب (آية ٥)

حق الحياة وتلك نظرة بعيدة عن الانسانية الحقة التي ترى في الضعف الانساني مجالا للتراحم والتعاطف وتقديم العون لمن يحتاجه وربما كان في الأطفال الضعفاء صحيا من تظهر موهبته العقلية فيما بعد . أو من يعوض عن ضعفه الجسمي بمهارة يتفوق فيها كما ظهرت لدى الكثير من أصحاب العاهات كالصم والبكم والمكفوفين لكن أفلاطون تبعا للغايات التي يستهدفها في نظرياته التربوية لا يرى لغير الاصحاء مكانا في جمهوريته . . . . كأن الحياة عنده غابة للصراع والتنافس فلا يعيش فيها إلا الأقوياء .

كما نلاحظ على نظريات أفلاطون التربوية جنوحها إلى الخيال المفرط وتصورها لعالم مثالي لا يجد إلى الواقع سبيلا . ومن هنا لم تصلح للحياة ، ولم تثمر ثمراتها في إصلاح المجتمع الانساني كما كان يتصور أفلاطون .

أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٣ ق.م)

جاء أرسطو بعد أفلاطون وكان أكثر منه واقعية وعمقا وقربا من العصور الحديثة في فلسفته وأفكاره التربوية[١] .

وقد تميز أرسطو عن أفلاطون بأنه عرف حياة الاسرة وذاق حلاوتها واستمتع بمحبة أولاده فحق له أن يقرر : « أن الآباء يحبون أبناءهم حبهم لقطعة منهم » إلى جانب ممارسته لفن التربية مدة ثلاث سنوات كان فيها مربيا للاسكندر الكبير .

وهذه العوامل إلى جانب عبقريته الخاصة ، جعلت من أرسطو كاتبا تربويا ثقة خبيرا[٢] . وقد ضاع كتاب أرسطو عن التربية والذي حدثنا عنه (ديوجين) ولم يبق من أفكاره التربوية إلا لمحات مبثوثة في كتبه الخلقية والسياسية .

بين أفلاطون وأرسطو :

يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كثير من الآراء التربوية ، وإن كان قد خالفه في بعض آرائه . فقد نقد أرسطو بعنف نظرية شيوعية النساء التي قال بها أفلاطون ورأى أن تقوية أواصر الاسرة خير للاسرة وللتربية أيضا .

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٣٥
(٢) التربية عبر التاريخ ص ٧٩

وكان يرى أن الملكية الفردية والصداقة يسهمان اسهاما جوهريا في خلق الاهتمام والترابط ، على عكس ما كان يراه أفلاطون من سيطرة الدولة على كل شيء حتى على النساء والأطفال . ولكن أرسطو لا يترك للاباء تربية الابناء تماما . . . بل يرى ألا تتدخـــل الدولة في التربية منذ ولادة الطفل كما كان أفلاطون يريد وإنما يرى أن تتدخل الدولة في التربية بعد سن السابعة لتهذيب الطفل وتنشئته على العادات الفاضلة ومن أقواله في هذا المعنى :

« لما كانت هنالك غاية واحدة ووحيدة لكل مجتمع مدني هي تعليم الفضيلة فقد ترتب على ذلك أن التربية ينبغي أن تكون واحدة لجميع أعضاء المجتمع وعلى المشرعين أن يهيئوا هذا الأمر لكل المواطنين »[١] .

« وإذا كانت العدالة هي المحور الاساسي للفكر التربوي عند أفلاطون فإن مدخل أرسطو إلى الفكر التربوي كان من خلال اهتمامه بقضية الفضيلة أو الكمال . . » وقد وضع أرسطو ثقته الكاملة في التربية باعتبارها آداة تكوين الفضيلة ووسيلة بلوغ الكمال والامتياز الانساني[٢] . ومع أن أرسطو قد عرض آراءه التربوية بشكل غير متكامل في كتابه الاخلاق وفي كتابه السياسة إلا أنه يعتبر الفيلسوف الذي أرسى دعائم التربية على أسس علمية ولم يحلق بها في عالم المثل والخيال[٣] .

معالم نظرية أرسطو التربوية :

حدد أرسطو معالم نظريته التربوية في أربعة أبعاد رئيسية تدور حول التساؤلات الآتية :

١ ـ ما أفضل أنواع التربية على الاطلاق ، إذا ما توافرت أفضل القدرات والمواهب وأنسب الظروف المحيطة بالفرد أو مجموعة الأفراد ؟ .

---

(١) التربية عبر التاريخ ص ٨٠
(٢) دراسات في تاريخ الفكر التربوي للدكتور سيد الجيار ص ٥٣ ـ القاهرة ـ مكتبة غريب ـ بدون تاريخ .
(٣) المرجع السابق .

٢ ـ ما أنسب أنواع التربية لفرد بذاته أو لمجموعة معينة من الأفراد وفقا لظروفهم وإمكاناتهم .؟

٣ ـ ما أفضل أنواع التربية بالنسبة للغالبية العظمى من الأفراد . .؟

٤ ـ ما نوع التربية المناسب الذي يحقق النمط المرغوب فيه بالنسبة لفرد ما أو مجموعة من الناس . .؟[١] .

مراحل النشوء :

وكان أرسطو يرى أن الانسان يمر في حياته بأطوار ثلاثة : طور النشأة الجسمية وهو الطور الأول من الطفولة ، وطور النفس النزوعية أي نشأة الاحساس والغرائز أو الجانب اللاعقلي من النفس ، ثم طور القوى الناطقة أو الطور العقلي .

ولهذا يرى أرسطو أن تكون التمرينات والدراسات متمشية مع هذه المراتب الثلاث وأن تسير التربية على نمط هذا التطور الطبيعي فعني في كل مرحلة بتربية القوة التي تظهر فيها .

ومن هنا يقول أرسطو:« إنه من الواجب ألا نهمل العقل عندما نكون معنيين بأمر الحساسية ، وألا نهمل النفس عندما نكون منصرفين إلى الجسد[٢]» .

التقليد :

من آراء أرسطو التربوية التي أوردها في كتابه « السياسة » أن كل فرد ذي طبيعة صحية ينزع إلى التقليد ، والتقليد أساس الفنون الجميلة . كما ينزع هذا الفرد إلى الحياة التعاونية مع غيره من الناس ويدفع الانسان إلى هذه المسالك محرك أساسي هو رغبته في السعادة ، وحيث أن السعادة تخرج من ثنايا حياة منتجة متنزهة فاضلة فإن الفرد الصحي سيهتم أصلا بتحقيق القيم النبيلة . واهتمام الفرد بتحقيق حياة منتجة وسعيدة يثير قدراته وطاقاته لامن حيث عمقها فحسب ولكن في مداها واتساعها ، ولهذا فإن الفرد يحاول تثقيف نفسه ويتصل بعناصر البيئة المحيطة ليعمل على نمو طاقاته وبتفاعل هذه الطاقات ينمو الفرد نموا كاملا ومهمة المربي . .

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر التربوي ص ٥٣

(٢) التربية عبر التاريخ ص ٨٠

العمل على أن تكون للنزعات الفاضلة والرغبات النبيلة السيادة فوق السلبية وغير الفاضلة ، وهنا يكون دور تكوين العادات بالتدريب المستمر[1] .

التربية النظامية :

يرى أرسطو أن التربية من مهام الدولة والنظامية منها تنتهي في سن الحادية والعشرين وتنقسم إلى أربع مراحل: المرحلة الأولى تنتهي في سن الخامسة والتربية فيها طبيعية وتشتمل على حركات بدنية تلقائية مع اهتمام بحماية الاطفال من المؤثرات الأخلاقية ، والمرحلة الثانية من سن الخامسة إلى السابعة وفيها يلاحظ الاطفال الانشطة التي سيمارسونها فيما بعد ـ ويبقى الطفل في البيت في هذه المرحلة ولكن تحت إشراف مديري التربية في الدولة ، أما المرحلة الثالثة فتنتهي قبيل سن المراهقة وفيها يتعلم الاطفال القراءة والكتابة والحساب والتمرينات الرياضية والموسيقى . . . ويهتم أرسطو بالرياضة والموسيقى على أساس أنهما يهيئان للفرد حياة منسجمة متزنة سعيدة ، والمهم في هذه المرحلة التدريبات وتقليد السلوك الطيب وتكوين العادات الخلقية السليمة[2] .

مصادر التربية عند أرسطو :

يرى بعض الباحثين أنه من الخطأ أن نبحث عن الصورة الكاملة للتربية عند أرسطو في آرائه النظرية الناقصة المجزوءة التي حواها كتابه في السياسة . . على نحو ما يفعل بعض الباحثين . . بل علينا إذا أردنا أن نكون صورة واضحة وصادقة أن نضيف إليها ذكرى تلك الدروس الرائعة التي أعطاها في « اللوقيون » « الليسيه » والتي كانت تحوي جميع العلوم تقريبا باستثناء العلوم والفنون التي لها طابع آلي عملي ذلك أنه خضع في هذه النقطة الاخيرة لأنواع العرف التي سادت في القديم فنظر إلى كل ما ينزع إلى فائدة عملية ومادية نظرة ازدراء ورأى فيه عبودية لا تليق بالانسان الحر ولذا لم يعرض على سامعيه إلا الدراسات الفكرية التي تهدف إلى السمو بالروح وتزودها بالأفكار الرفيعة[3] .

---

(١) تطور الفكر التربوي ص ١٤٣
(٢) تطور الفكر التربوي ص ١٤٤
(٣) التربية عبر التاريخ ص ٨٣

نقد أفكار أرسطو التربوية :

يؤخذ على مناهج أرسطو التربوية أنها تربية ارستقراطية فهي محصورة في أقلية مختارة ليست ممكنة التعميم ، وهو العيب نفسه الذي تعاب به نظريات أفلاطون التربوية .

« فالعبيد الذين يوكل إليهم تقديم الغذاء لمواطنيهم وتيسير ساعات الفراغ التي يوصي بها أرسطو ، لم يكن لهم أي نصيب من التربية كما لم يكن لهم أي نصيب من الحريـة والملك . وقد كان في عصر «بركليس» أي في أجمل عصور الجمهورية الاثينية وأوج عزها ما يقرب من أربعمائة ألف عبد يسيرون في ركاب عشرين ألف مواطن حر !

هكذا نرى أن علينا إذا أردنا أن نعجب بالتربية اليونانية أن نجردها من إطارها وننظر إليها في ذاتها متناسين ما كان في المدن اليونانية من ضيق في التكوين وما في النظام الاجتماعي من مفاسد كانت لا تحقق الثقافة لبعض المواطنين إلا على حساب العدد الأكبر وعن طريق التمادي في اضطهادهم »[١] .

ومع اعجاب المفكرين في العصور القديمة والوسطى بكلمات أرسطو وآرائه ومنطقه إلا أنهم وجدوا في جوهر فلسفته غرابة عنهم ، فلم يستطيعوا الابقاء على روح البحث المستقل ولم يتمكنوا من تنفيذ آرائه في التربية ، ولم يتفهموا بعمق أنه أدرك أن الانسان كائن « دينامي » مستقل متكامل .

ثم اهتزت بعض آراء أرسطو في عصور النهضة بظهور التجريب والبحث العلمي وأصاب آراءه ـ خاصة في الطبيعة ـ نقد كبير حتى أصبحت ذات قيمة تاريخية فحسب[٢] .

وآخرون من الباحثين يرون أن ارسطو يقترب بمفهوم التربية إلى مفهومها الحديث ويأتي لنا بأهداف تشبه إلى حد كبير أهداف التربية الحديثة وأنه وإن كان يعطي التربية العقلية المقام الأول فإنه لم يغفل النواحي الأخرى للانسان[٣] .

---

(١) التربية عبر التاريخ ص ٨٤
(٢) تطور الفكر التربوي ص ١٤٥
(٣) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٣٥

وبعد . . . فقد تبين من هذا العرض أن التربية عند افلاطون وارسطو ، بل إن التربية الاغريقية عامة تقوم على أساس تقسيم الناس إلى أحرار وعبيد ، وأن التربية توجه إلى الأحرار فقط ، على اختلاف فيما يوجه لكل منهم وأما العبيد فليس عليهم إلا أن يعملوا في خدمة سادتهم وتوفير القوت لهم ومدهم بما يحتاجون إليه لتمكينهم من الاستمتاع بحياتهم على النحو الذي يريدونه .

بل إن الاغريق عامة كانوا ينظرون إلى الشعوب المجاورة لهم على أنهم برابرة لا يصلون إلى درجتهم في المعرفة والحضارة . . بل كان افلاطون يرى وجوب استرقاق الاغريق لغيرهم .

ومن هنا يمكن القول: إن التربية الاغريقية عامة لا تصلح في ميزان التطبيق ، لأنها صادرة عن نزعة عنصرية وعن جهل بطبيعة الإنسان . . . إذ كانوا يرون غيرهم من الشعوب كالحيوانات المسخرة لا يصلحون للتعليم أو التهذيب .

ثم إن ارتباط هذه التربية باساطير الاغريق وأوهامهم عن الآلهة والأبطال الذين هم انصاف آلهة وغير ذلك من الخرافات تجعلها تربية قائمة على أساس اعتقادات خاطئة . . فهم لم يعرفوا توحيد الله سبحانه ، ولم يرتبطوا بحقيقة الوحي ، ولا تظهر لديهم معرفة بالدين الحق .

ومن هنا جاءت تصوراتهم الخيالية وأوهامهم في شأن الكون وفي حقيقة الإنسان .

* * *

جان جاك روسو

عاش جان جاك روسو بين عام ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م وظهر على العالم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بمذهبه الطبيعي الجديد الذي يقوم على الاعلاء من شأن الطبيعة المادية والطبيعة البشرية والدعوة إلى حياة الطبيعة والحط من شأن المدنية القائمة في عصره . والدعوة إلى تنظيم المجتمع بما يتفق والطبيعة البشرية والإيمان بالعواطف والمشاعر الانسانية والايمان بحقوق العامة والعطف عليهم ،

والإيمان بالطبيعة الخيرة للإنسان وبوجوب تربية الطفل بما يتفق وطبيعته وميوله وحاجته الحاضرة ويتمشى مع قوانين الطبيعة بصورة عامة إلى غير ذلك من الخصائص والمبادىء التي يقوم عليها المذهب الطبيعي[1] .

التحول الهام في حياة روسو :

بقي « روسو » حتى سن السابعة والثلاثين من عمره دون أن يظهر عليه تفوق في الذكاء أو نضج في الفكر ، ودون أن ينتج شيئاً يستحق الذكر .

ثم كانت يقظته في أكتوبر عام ١٧٤٩م عندما لفت نظره اعلان في مجلة فرنسية عن جائزة من قبل « أكاديمية ديجون العالمية » لمن يفوز في مقال عن السؤال الآتي :

ـ هل تقدم العلوم والفنون أدى إلى بناء الأخلاق أم إلى فسادها ؟

وقد أيقظ هذا اعلان القوى العقلية الكامنة لروسو ، فقرر الاشتراك في المسابقة ، وكتب بحثاً بعنوان « مقالة في الفنون والعلوم » نال موافقة أعضاء الأكاديمية وأثار اعجاب جمهور القراء حين نشر .

وكان نجاحه في تلك المناسبة نقطة تحول في حياته الفكرية فتحت أمامه آفاق المجد والشهرة ، وقد أتبع هذا المقال بعدة مقالات ورسائل شرح فيها الأسس التي يقوم عليها المذهب الطبيعي الذي آمن به . . . ولكن كتاباته التي بلغت به الشهرة والمجد . . . كانت هي نفسها سبباً في بؤسه وشقائه آخر حياته ، حيث أثارت عليه هذه الأفكار رجال السياسة والحكم ، كما أثارت عليه فريقين لهما أثرهما القوي في المجتمع الفرنسي هما رجال حركة التنوير وعلى رأسهم فولتير ، ورجال الدين المسيحيون من بروتستانت وكاثوليك فأحرق كتابه « أميل » على رؤوس الاشهاد وصدر أمر بالقبض عليه ففر خارج فرنسا وظل في روسيا ثلاث سنوات ثم انتقل إلى بريطانيا وكتب فيها الجزء الأول من اعترافاته ، ثم قرر الرجوع إلى باريس غير عابىء بما يصيبه ، حتى توفى عام ١٧٧٨م عن عمر يناهزستا وستين سنة[2] .

---

(١) المرجع في تاريخ التربية بول مونرو جزء ٢ ص ٢١٣ ـ ٢٢١ ترجمة صالح عبد العزيز مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ م. وتطور النظريات والأفكار التربوية ص ١٥٤

(٢) تطور النظريات والأفكار التربوية ١٥٧ ـ ١٥٨

أفكار « روسو » التربوية :

يعتبر كتاب « اميل » الذي نشر لأول مرة في عام ١٧٦٢ م وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور نظمي لوقا سنة ١٩٥٨ م مرجعا في معرفة أفكار روسو في التربية الطبيعية . وقد صور فيه روسو منهج التربية الذي ارتضاه اميل ، وهو شخصية مخترعة اختار أن يجعلها موضوعا لاقتراحاته وارشاداته التربوية ، بعد أن نزعه من والديه ووضعه بين يدي مرب مثالي يوجهه ويرشده محتكا بجمال الطبيعة وعجائبها .

وقد قسم روسو كتابه هذا إلى خمسة أجزاء: في كل منها منهج التربية المناسب لكل مرحلة من مراحل نمو « اميل » ففي الأول ناقش تربية اميل في مرحلة طفولته الأولى التي تمتد من الميلاد إلى سن الخامسة . وفي الثاني : ناقش تربيته من الخامسة إلى الثانية عشرة . وفي الثالث : من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة. وفي الرابع : من سن الخامسة عشرة إلى سن العشرين والخامس والأخير: لمناقشة تربية البنت « صوفي » ولمناقشة آرائه في تعليم المرأة بصورة عامة .

وفي هذا الكتاب تتضح بعض السمات والمبادىء التربوية منها :

١ ـ الايمان ببراءة الطفل وفطرته الخيرة ، فهو ينكر الخطيئة الأصلية كما ينكر وجود أي انحراف أصيل في قلب الإنسان من حقد وكراهية وحسد وانانية وغير ذلك ، فهما يكتسبان من البيئة الفاسدة .

يقول روسو :

« بل اني أسألكم من أين لكم البرهان على أن تلك الميول الخبيثة التي تزعمون عملكم على شفائه منها ليست في الواقع الا ثمرة جهودكم لا ثمرة خلقته الفطرية »(١) .

٢ ـ الاعلاء من شأن الطبيعة والإيمان بوجوب مراعاة قوانينها في تربية النشء . وهو يؤمن بضرورة التربية للإنسان ، لأنها هي التي تساعد على تفتح

---

(١) اميل ترجمة دكتور نظمي لوقا ص ٨١ ـ الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٥٨ ـ الشركة العربية للطباعة والنشر .

شخصيته وصقلها وتشكيلها بالشكل المرغوب فيه وفي نظره أن التربية تأتي من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء . . فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلي هو من تربية الطبيعة . . وما نتعلم من الافادة من ذلك النحو هو تربية الناس ، وما نكتسبه بخبرتنا عن الاشياء التي تتأثر بها هو تربية الأشياء .

ويرى روسو أن تربية الطبيعة خارجة عن اراداتنا ، وتربية الأشياء لا تقع تحت سلطاننا الا بمقدار . . . « وأما تربية الناس فتلك دون سواها مطموعة لنا بحق ، بيد أننا لسنا مسيطرين عليها إلا افتراضا فمن ذا الذي يتطاول فيطمع أن يهيمن الهيمنة كلها على أقوال كل من يحيطون بالطفل وافعالهم »[1] .

وعنده أن التربية التي تسير وفقا لقوانين الطبيعة تحترم ميول الطفل وغرائزه الفطرية ونزعاته الاولية ونزواته ورغباته المعقولة وتعمل على تحرير قواه بدلاً من كبتها واذلالها واخضاعها للنظام والتقاليد الاجتماعية لأن في الحرية عوناً للطفل على تنمية شخصيته وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس .

ويرى روسو أن التربية الطبيعية أو التي تسير وفقا لقوانين الطبيعة تنتج أكبر قدر ممكن من الاحتكاك بمظاهر الطبيعة المادية وعناصرها ومن الحياة في كنفها بعيداً عن حياة المدن التي يرى انها مقابر للجنس البشري .

التربية السلبية :

ينادي روسو بالتربية السلبية حتى سن الثانية عشرة ، ويريد بها التربية التي تسير وفقاً لقوانين الطبيعة والتي تخالف في خصائصها التربية التقليدية ومن خصائصها : الاعتماد على الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء أكثر من الاعتماد على التلقين اللفظي وحشـو ذهن الطفل بالألفاظ التي لا معنى لها عنده . يقول روسو في كتاب اميل . . . لا ينبغي أن نلقن التلميذ دروساً لفظية فالتجربة وحدها هي التي يجب أن تتولى تعليمه وتأديبه فالتربية الأولى ينبغي اذن أن تكون تربية سلبية خالصة[2] .

---

(١) اميل ، ترجمة دكتور نظمي لوقا ص ٢٦ - ٢٧
(٢) المرجع السابق ص ٩٨

ومن خصائص التربية السلبية ايضا عند روسو عدم المبالغة في العناية بالطفل وحمايته وألا يكره على تكوين عادة معينة وعدم معاقبته إلا بما كان نتيجة طبيعية لفعله وعدم التدخل المتسرع في شؤونه أو في الحكم له او عليه يقول روسو :

« اني لن أستدعي بتاتاً أي طبيب لعلاج « اميل » اللهم إلا إذا باتت حياته في خطر ماحق ، إذ لا يكون في وسع الطبيب عندئذ أن يؤذيه بما هو شر من الموت الذي هو مشرف عليه ، وعلى الطفل إذا لم يعرف كيف يشفي نفسه أن يتعلم كيف يمرض . فهذا الفن عوض صالح عن ذاك ، وكثيرا ما يكون أبعد نجاحا منه فإن فن المرض هو فن الطبيعة فحيثما يمرض الحيوان يتعذب ويتألم في صمت ويخلد إلى العزلة فلا ترى حيوانات عليلة قدر من تراهم عليلين من الرجال »[1] .

ويقول أيضاً :

« أعدوه من بعيد كي تسود حياته الحرية والقدرة على استعمال قواه كلها تاركين لجسمه العادة الطبيعية بحيث يكون دائماً سيد نفسه قادراً في جميع الأمور على العمل بمشيئته متى صارت له مشيئة ، ولا تستجيبوا لرغباته لانه اعرب عنها بل لأنه بحاجة فعلية إليها »[2] .

استمرار التربية

يرى روسو أن التربية عملية مستمرة تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت ، وهي في كل مرحلة من مراحل السن تكون متمشية مع خصائص تلك المرحلة . يقول :

« ان تربية الرجل تبدأ منذ مولده ، فهو يتعلم قبل أن يتكلم بل وقبل أن يفهم ، فالتجربة هي التي تمده بالدروس وعندما تراه يعرف مرضعته فهو قد عرف شيئا كثيرا ، فلماذا اذن لا تبدأ تربية الطفل قبل أن يتكلم وقبل أن يفهم ما دام مجرد اختيار الاشياء التي تعرض عليه كافيا لجعله خوافا أو مقداما »[3] .

ومن هنا يرى روسو أن يكون التركيز في المرحلة الأولى من التربية (من

(١) اميل - مصدر سابق - ص ٦٣ - ٧٣
(٢) اميل ص ٥٣ - ٥٤
(٣) اميل ص ٦٤

الولادة الى سن الخامسة) على التربية الجسمية والنفسية لتكوين طفل صحيح الجسم سليم البنية ممتلىء بالنشاط والحيوية قادر على تحمل تقلبات الجو ، وعلى استخدام حواسه وعلى تحمل الألم ، وعلى الكلام بلغته القومية في صوت واضح وألفاظ دقيقة ، غير وجل ولا خائف من الحيوانات والأشكال القبيحة والاصوات المزعجة .

وفي المرحلة الثانية من مراحل التربية . . من الخامسة إلى الثانية عشرة . . يبدأ الاهتمام بصورة اوسع بتكوين الصفات الخلقية ، كالشجاعة والتعود على الخشونة وعلى الاعتماد على النفس وعدم التصنع في تصرفاته بشرط أن يكون غرس هذه الصفات بطريق الخبرة والتجربة لا عن طريق التلقين .

وفي المرحلة الثالثة . . من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة . . تبدأ مرحلة التربية العقلية لتنمية الملكات وقوى الفكر وتنمية روح المبادأة وتزويد الطفل بالمعارف النافعة في الجغرافيا وعلوم الطبيعة وتحبيب بعض الفنون العملية والحرف اليدوية اليه ، كالزراعة والنجارة والحدادة .

أما المرحلة الأخيرة . . من الخامسة عشرة إلى العشرين . . ففيها يكون الاهتمام بتربية العاطفة والضمير الديني والذوق الاجتماعي عند الشباب .

موجز الأهداف :

وإذن فالأحداث التي حددها روسو في المراحل الأربع تتلخص في مساعدة الطفل على تنمية جسمه وتفتح شخصيته وتكاملها وتحقيق ذاته وتعويده على الشجاعة والاستقلال والاعتماد على النفس وغرس قوة المناعة لديه ضد التأثيرات السيئة للمجتمع وتربية روحه وعاطفته واعداده لحياة متغيرة متطورة[١] .

أثر كتاب اميل :

لقي كتاب اميل نجاحاً كبيراً في فرنسا وغيرها ، وتمثل ذلك في العدد الكبير من الكتب التي ألفت في الدفاع عنه أو في معارضته أو في إصلاحه وتهذيبه . ويقول عنه الفيلسوف (كانت):

---

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ١٧٨

إن الانطباع الأول الذي تخلقه مؤلفات روسو في قارىء لا يقرأ للغرور ولإضاعة الوقت هو أن هذا الكاتب يجمع إلى عمق عبقريته الهائل وحياً نبيلاً ونفساً ملأى بالحساسية مما لم يقيض لكاتب غيره في أي عصر وأي بلد ، والانطباع الذي يعقب هذا فوراً هو الدهشة التي تحدثها الأفكار الخارقة والمقارنة . . إن علي أن أقرأ روسو . . وأقرأه إلى أن يكشف جمال العبارة عن تكدير نظرتي ، وعند ذلك أستطيع أن أمتلك عقلي للحكم عليه[1] .

تقييم أفكار روسو :

كانت حياة روسو في سنيه الأولى حياة واسعة متحررة فقد تعلم القراءة والكتابة وهو حدث ، فقضى سنيه الأولى في التهام القصص الخرافي مما أثار عواطفه وألهبها ومما جعل من العسير على تربيته التي تلقاها فيها بعد خلق أي تغيير أساسي في خلقه الأول . وفي الثانية عشرة من عمره حاول تعلم حرفة ما فلم يتعلم على ما يقول هو إلا الكسل والغش والخداع وبعد سنوات أربع انتهى أمره إلى التشرد بكل معانيه وبقي على هذه الحال سنين طويلة قوت هواه للطبيعة ومعرفته لها وبقيت العواطف والأهواء والحواس قائدهفي هذه الحياة، حتى لقد كان لا يطمع في أكثر من وجبة طعام تامة وزجاجة خمر في ضيافة راهب اعاده فيها بعد إلى حظيرة البروتستانتية مما كان له الأثر العميق في حياة روسو[2] .

وإذن فقد صدرت مثل روسو التربوية عن حياته الخاصة ففي حياته ونظرياته كان للعواطف لا للعقل المحل الأول كما كانت غرائزه والميول الطبيعية تعد أكثر أهمية .

ولكن مؤرخي التربية الغربيين ويتابعهم في ذلك الباحثون العرب والمسلمون يغالون في تقدير افكار روسو التربوية وفي الاشادة بمذهبه الطبيعي ، فيرى بعضهم أن تعاليم روسو هي الأساس الذي بنيت عليه كل التطورات التربوية في القرن التاسع عشر ،رغم ما في هذه التعاليم من بعض المبالغات. لقد كانت التفسيرات

(١) التربية عبر التاريخ ص ٣٩٤
(٢) نفس المرجع ص ١٤٧

الثلاثة التي اعطاها روسو لنظرته عن الطبيعة الخطوط الكبرى لكل تطور تربوي خلال القرن التاسع عشر[1] .

ولتوضيح هذه النقطة نقول : يبسط روسو مبدأه الرئيسي في الجملة الأولى من الكتاب فيقول :

« كل شيء خير حين يخرج من بين يدي خالق الطبيعة ولكن كل شيء يفسد في يدي الانسان » .

ومع أن روسو لا يثابر على استعمال كلمة طبيعة بمعنى واحد صريح فإن واحداً من معان ثلاثة يمكن أن ينسب لهذه الكلمة حين يستعملها روسو المعنى الأول والأساسي لكلمة طبيعة في كتاب اميل هو المعنى الاجتماعي فهو يرينا في العقد الاجتماعي امكان بناء حالة من الثقافة العالية على مبدأ سياسي أكبر وبالتالي إمكان نشوء نوع من الحياة الاجتماعية أسمى من حياة القرن الثامن عشر الاجتماعية[2] .

أما المعنى الثاني للطبيعة عند روسو فهو : أن الاحكام الغريزية والعواطف الابتدائية والغرائز الطبيعية والانطباعات الأولى يمكن الوثوق بها كقاعدة للعمل أكثر من التأمل والتجربة التي تتكون عن طريق الاتصال بالآخرين . « إن ما نسميه طبيعتنا هو استعداداتنا قبل أن يطرأ عليها تغيير ـ عن طريق عادات التفكير والمحاكاة التي نقتبسها من غيرنا ـ ولذلك فإن روسو لا يني عن مهاجمة العادات في التربية فيقول « إن العادة الوحيدة التي يجب أن يسمح للطفل بتكوينها هي عدم التعود بتاتاً »[3] .

أما المعنى الثالث لكلمة طبيعة فهو الطبيعة غير الانسانية فالتربية السيئة التي

---

(١) التربية قديمها وحديثها للدكتور فاخر عاقل ص ١٦١ الطبعة الأولى ١٩٧٤ م دار العلم للملايين ـ بيروت .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٢
(٣) المصدر السابق ص ١٥١

يكون مصدرها الانسان لا بد من تعديلها عن طريق الاحتكاك بالحيوانات والنباتات وحوادث الطبيعة وقواها احتكاكا مرئيا مخلصا[1] .

ويعتبر البعض أن تعاليم روسو في اميل كانت تعتبر هجوما مباشرا على الارستقراطية والكنيسة ولذلك فقد عبـأ جهودهما ضد تلك التعاليم[2] .

* * *

ـ الفلسفة النفعية ـ

جون ديوي

ولد جون ديوي في مدينة « بورلنجتن » من ولاية فيرمونت سنة ١٨٥٩ م وبعد تخرجه من الجامعة اشتغل بالتدريس ، ثم تاقت نفسه إلى مواصلة دراسته العليا في الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخية ، فحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٨٤م ومارس ديوي التدريس في عدد من الجامعات الامريكية كان آخرها جامعة «كـولومبيـا» حتى تقاعد عام ١٩٣٠ م وقد نال ديوي شهرة بالغة كفيلسوف مفكر وكمصلح تربوي كبير لا في الولايات المتحدة وحدها ولكن في جميع انحاء العالم . وظل ديوي في نشاط علمي دائب حتى توفي في اليوم الأول من شهر يونيه عام ١٩٥٢م عن عمر يناهز الثانية والتسعين .

ومن أبرز أعماله في الميدان التربوي انشاؤه لمدرسته النموذجية في شيكاغو سنة ١٨٩٦ م وقد اتخذ ديوي من هذه المدرسة الابتدائية النموذجية حقلا لتجربته النظرية وآرائه التقدمية في التربية . وفي سنة ١٩٥٢م ضمت هذ المدرسة لكلية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها .

وقد حاول جون ديوي أن يقيم برامج هذه المدرسة وادارتها على مبادىء الفلسفة البرجماتية التي من بينها وجود الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم خارج المدرسة ، ووجوب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٢

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢

جعل الاطفال يتعلمون عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي ووجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ واعتبار التربية عملية اجتماعية والتركيز على التعاون بدلا من التنافس إلى غير ذلك من المبادىء التي كانت مطبقةُ في المدرسة التجريبية .

وقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين ، كما كان لها فضل كبير في اقناع الآباء بأهمية المبادىءالتربوية التقدمية وبإمكانية تطبيقها ، وقد شجع ديوي بمدرسته هذه انشاء العديد من المدارس التقدمية الخاصة في أمكنة متعددة من الولايات المتحدة(١) .

فلسفته وأفكاره التربوية :

يرتبط اسم ديوي ارتباطا وثيقاً بالبراجماتية وكان الأمريكي « شارل بيرس Peirec » أول من قدم كلمة براجماتية في الفلسفة الحديثة عام١٨٧٨م كما أن الفضل لوليام جيمس في التعريف بها والدعوة لها . . . والطريقة البراجماتية وسيلة لحسم النزاعات الميتافيزيقية « ما وراء المادة » التي لا تنتهي : المادة أم الروح ؟ عالم واحد أم عوالم عدة(٢) .

وتشتق كلمة براجماتية من كلمة اغريقية تعني العمل(٣) ، وتحاول الطريقة البراجماتية أن تنظر إلى النتائج العملية الفعلية للعمل ، وبهذا تصبح الطريقة البراجماتية برنامجاً للعمل لا حلاً للمشاكل .

وتعتبر الفكرة أو المعتقد في نظر البراجماتية توقعاً أو تنبؤاً ، وصلاحية التنبؤ تتوقف على النتائج ، وهل هى مرضية بالنسبة للشخص الذي ينتظرها ؟ ولكن كلمة مرضية تبدو غامضة في مدلولها وأغلب الظن أنها تعني حالة انفعالية يسر لها الشخص .

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية للدكتور عمر محمد التومي الشيباني ٣٣٤ - ٣٣٥ طبعة دار الثقافة ببيروت (مرجع سابق)
(٢) المرجع السابق ص ٤٧٣
(٣) هي كلمة pragma

ومن هذه الفكرة خرج « ديوي » بايمانه بأهمية البحث والاستقصاء وخير طريقة للبحث هي الطريقة العلمية ومعنى هذا أن تتحول المدارس إلى مؤسسات يتعلم منها التلاميذ كيف يقومون باستقصاءاتهم وبحوثهم لا أن يقبلوا نتائج أبحاث الغير[١] .

ويرى البراجماتيون أن الاخلاق لا ترتكز على مطلقات أو حقائق ثابتة والقيمة الصالحة عندهم هي التي تُساعد الفرد على تكوين علاقة فعالة مع العالم ومع زملائه ، ويرون أن القيم في تغيير مستمر . . ولهذا فهم يرون أن قيم عهد سابق لا تصلح ليومنا هذا . . ومن هنا فإن المدرس في مجتمع متغير لا يجب عليه أن يعلم القيم ، وإنما يجب عليه أن يساعد الطفل على اكتشاف القيم بنفسه .

وقد تأثر ديوي بالبراجماتية إلا أنه عارض « جيمس » الذي كان من أنصار مذهب التعدد والكثرة في حين كان ديوي من أشد المتحمسين للواحدية ، فلم يؤمن قط بثنائية العقل والجسم مثلاً ولا ثنائية المادة والروح[٢] .

وكان ديوي يرى أن المفاهيم الميتافيزيقية (الغيبية) هروب من الواقع أو أنها من نتاج طبقة تمضي وقتها في التأمل تاركة غيرها من الطبقات لفلاحة الأرض وتقطيع الصخور والوقوف أمام الأفران .

ومع أن ديوي لم يذكر « كارل ماركس » في مؤلفاته فإن من الواضح أن مفهومه عن الثقافة وأنها مرتبطة وناتجة عن الاقتصاد قد أثرت في « ديوي » كما أثر فيه المذهب الايجابي لأوجست كونت ، أما دارون . فلا شك أنه تغلغل في تفسير ديوي عن الحضارة[٣] .

أهداف التربية :

يرى ديوي أن التربية ليس لها أي هدف خارج عن عملية التربية نفسها ، فالهدف الأعلى للتربية عنده هو تحقيق استمرار التربية أو بعبارة أوضح أن هدف

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧٣
(٢) المرجع السابق ص ٤٧٣
(٣) المرجع السابق ص ٤٧٣

التربية هو أن تساعد الفرد على أن يستمر في التربية وبالتالي في نموه وتعلمه وتكييفه مع بيئته وحياته . فالتربية عنده ينبغي ألا تكون لها أهداف مفروضة عليها من الخارج لأن الأهداف المفروضة من الخارج لا تمثل أهداف التلاميذ الحقيقية ، ولا تنبع من خبراتهم ونشاطاتهم والأهداف الحقيقية للتلميذ هي ما حددها بنفسه ، أو على الأقل اشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته(١).

المناهج :

ينتقد ديوي بشدة المفهوم التقليدي للمناهج الذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وعلى ترتيب هذه المواد ترتيباً منطقياً قد لا يتفق مع عقلية التلاميذ الصغار ، لأن استعدادات الطفل العقلية في سنه المبكرة وطبيعة تكوينه العقلي لا تتفق مع هذا الترتيب ولا ذاك التقسيم .

وليس المركز الحقيقي للمنهج في نظره هي المواد الدراسية المنفصلة المستقل بعضها عن بعض ، بل مركزه الحقيقي هي نشاطات الطفل الذاتية وخبراته . فمن هذه النشاطات والخبرات يتكون المنهج وبها يجب أن تبدأ الدراسة(٢).

طريقة ديوي :

تقوم طريقة ديوي على مبدأ ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وضرورة مراعاة ميولهم ودوافعهم الطبيعية ووجوب استغلال هذه الدوافع والميول في جذب انتباههم ودفعهم إلى النشاط الذاتي . ومن الميول والدوافع التي يجب على المربي استغلالها في العملية التربوية : الميل إلى الحركة والنشاط والميل إلى اللعب ، والميل إلى التعبير عن الذات بالقول والعمل ، والميل إلى البناء والتركيب والميل إلى البحث .

يقول ديوي : « . . . دع الطفل يعبر أولا عن الدوافع التي في نفسه ، ثم الفت انتباهه إلى ما يصنع وإلى ما يحتاج إلى صنعه بالنقد والأسئلة والاقتراحات فهنا ستكون النتيجة مختلفة تماماً . . . »(٣).

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٣٥١
(٢) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٣٥٥
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠

والطريقة الصالحة في نظر « ديوي » هي التي تساعد التلميذ على ايقاظ قواه واستعداداته العقلية وتعوده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير المنطقي وحب التعاون وتشجعه على الاصالة والخلق والابداع . . وتدفعه إلى الحركة والنشاط الهادف(١) .

نقد افكار ديوي :

إن أهم نقد يوجه إلى أفكار ديوي الفلسفية والتربوية هو إغفاله للجانب الروحي في الانسان ورفضه للايمان بما وراء المادة . . وهو بهذا يغفل جانب الاعتقاد في الانسان وليس في مدرسته النموذجية مكان للتربية الدينية .

كما أنه يرى أن الاخلاق ليست ثابتة ، وأنه ليس هناك قيم مطلقة بل كل شيء عنده قابل للتغيير ، تبعاً لطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع ووفقاً لمبدأ المنفعة والمصلحة .

ولهذا واجهت أفكار ونظريات ديوي معارضة شديدة من قبل كثير من المربين المحافظين ، ومن أتباع المذاهب والنزعات التربوية التقليدية كأتباع المذهب الواقعي وأتباع المذهب المثالي ، وأتباع الحركة الاساسية الذين وجدوا في أفكار ديوي وأتباعه ما لا يتفق مع المبادىء التي تقوم عليها المدارس الفلسفية التي ينتمون إليها .

ولئن كان هناك من نقد افكار « ديوي » من الناحية التربوية كالذين انتقدوا على فلسفته التربوية اعتبارها للعملية التربوية على أنها مرادفة لعملية الحياة نفسها وقولها: بأنه ليس للتربية أهداف خارجة عن تقحقيق التربية نفسها ، ومناداتها بتربية شخصية الطفل ككل وفي هذا توسيع لمسؤوليات المدرسة بما قد يجعلها تعتدي على مسؤوليات غيرها من المؤسسات التربوية والاجتماعية ومبالغتها في تأكيد ميول التلاميذ وحاجاتهم الحاضرة كأساس لاختيار المعارف والخبرات المدرسية وتنظيمها ـ وغير ذلك من انتقادات ـ

فإننا معشر المسلمين ـ أولى الناس بنقد هذه الأفكار والنظريات التي أحدثت

(١) المرجع السابق ص ٣٦١

هزة في المجتمع الامريكي ثم في المجتمعات الأخرى شرقاً وغرباً ذلك لأن نظريات ديوي ترفض العقيدة الايمانية التي تقوم على اساس التصديق بما وراء المادة أو الايمان بالغيب . . والله سبحانه يصف المتقين بقوله: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . . . ﴾ .

فإذا كان ديوي يوجه الناشئة إلى تعليق ابصارهم بالمادة وعدم التفكير فيما وراءها فإنه بذلك يخرج أجيالاً لا تؤمن إلا بعالم الحس ولا تصدق بما وراءه مما جاء به الدين الصحيح . . . دين الاسلام .

كما أن آرءه في جانب الاخلاق لا تقل خطراً عن آرائه في جانب الغيب - إذ يرى أن القيم متغيرة وليست ثابتة - وهذا يعني هدم الجانب الاخلاقي جملة ، إذ يصبح الكذب فضيلة في بعض الأحيان ، وكذلك الرذائل كلها قد تنقلب إلى فضائل ، للتغيير الاجتماعي وللمصلحة المنشودة .

وإذا كان هناك ما نقبله من آراء ديوي فإنها بعض الجوانب المتعلقة بالطرق التي تؤدي إلى إثارة الوعي والانتباه أو إلى تحريك قوى التلاميذ للتحصيل والارتباط بالبيئة .

أما آراؤه المتصلة بالأهداف والقيم والمناهج ، فإنها آراء لا تتفق مع المعتقدات الاسلامية ، ولا توائم المنهج الاخلاقي الثابت الذي جاء به الاسلام .

وإن كان من الباحثين العرب والمسلمين من فتنوا كثيراً بنظريات ديوي ورأوا فيها تجديداً وتحرراً ومواءمة للعصر . . كما يقول الدكتور عمر محمد الشيباني :

« ولكن ما ذهب إليه (ديوي) من التجديدات له ما يبرره من نتائج علم النفس ومن مقتضيات العالم المتغير والمتطور تطوراً سريعاً الذي عاش فيه »[1] .

فإن منهم من بين انهيار النظريات واعادة النظر فيها في أمريكا نفسها وفي العالم كله .

يقول الدكتور سعد مرسي أحمد :

« وقد علت الالوية تمجيداً لهذه الآراء الديوية ، ولكن مطارق النقد لم

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٣٧٢

تستطع إلا أن تمارس سطوتها بعد سنوات كثيرة من المد « الديوي » لا في أمريكا فقط ولكن في اقطار كثيرة شرقية وغربية . بل إن الصيحات الناقدة انبعثت اساسا من أمريكا على أيدي جماعات من المربين والنفسانيين تطلعوا إلى عقيدة ديوي التربوية بانفعالات مختلفة ومتشابكة » .

ثم يقول : « لهذا فان المربين الامريكيين منذ سنوات قليلة مضت يعيدون النظر في التربية السائدة وهي نتاج الديوية ، ويبنون اصلاحاتهم على مساوئها »[1] .

ومن هنا فإن على المفتونين بآراء ديوي في المجتمعات الاسلامية أن يراجعوا أنفسهم ، فها هو الغرب نفسه بل المجتمع الذي نشأ فيه ديوي قد أعاد النظر في هذه الآراء ، وتبين له ما أدت إليه من عواقب وخيمة تجلت في ضعف التعليم وانهيار العقائد والاخلاق . وهذا ما يهيىء المجال في المجتمع الاسلامي المعاصر لإحياء النظرية التربوية الاسلامية التي قام على أساسها مجد المسلمين في ماضيهم الزاهر ، بدلاً من هذا الاتباع والانقياد لفلسفات الغرب المتغيرة والمتناقضة التي لا تبرأ فلسفة منها من معايب ومفاسد .

تعقيب واستنتاج

وهكذا يتضح لنا من استعراض هذه النظريات التربوية لفلاسفة الغرب قدمائهم ومحدثيهم . . انهم قد أخطأوا في النظر إلى الانسان واتبعوا أهواءهم وأوهامهم في رسم سياسة التربية في مجتمعاتهم . . . فمنهم من جنح إلى الخيال . . ومنهم من لم ير سوى المادة . . ولم يستهدف إلا النشاط الغريزي للإنسان . . منهم من كان يعبد آلهة متعددة كافلاطون وارسطو . . ومنهم من كان يتبع عقيدة محرفة كجان جاك روسو . . ومنهم من أهمل الدين تماماً وهو « جون ديوي » .

ومن هنا فليس من العجب أن تأتي نظرياتهم متناقضة في كثير من الأحيان ، وأن تثبت التجارب المتعاقبة أنها لم تصلح حتى للمجتمعات التي نشأت فيها . . فكيف يراد تعميمها في المجتمع الانساني كله .

(١) تطور الفكر التربوي ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣

ولو كان لدى هؤلاء الفلاسفة رؤ ية صادقة لحقيقة الإنسان . . لما اضطربت آراؤ هم وتناقضت . . ولو كانت نظرياتهم صادقة معبرة عن حاجة المجتمع الإنساني لما تغيرت هذا التغير الكبير في اهدافها ووسائلها .

وهذا هو شأن في الفكر البشري عامة ، إنه فكر محدود بزمان معين ومكان معين ، وانه لا يحمل صفة القطع والثبات . . بل هو متغير متبدل . . ولننظر إلى الفرق البعيد مثلاً بين افلاطون وجان جاك روسو ، فالأول نادى بالقيود . . وكان استبدادياً في نظرته إلى الفرد . . فحاول تجريده حتى من الحقوق الفطرية في انتمائه إلى أسرة وفي رعايته لزوجة وأطفال . بينما نادى روسو كما رأينا بتحطيم القيود والرجوع إلى الفطرة . . كما يراها بتفسيراته المتعددة لها . . فكلاهما يميل إلى الغلو والتطرف في الجانب الذي ينادي به ، دون رعاية لصلاحية نظريته للتطبيق والتعميم .

وكذلك الفرق البعيد بين آراء أرسطو وآراء « جون ديوي » في كافة جوانب التربية .

وهذا ما يجعلنا نطمح إلى أن يهتدي العالم بمناهج التربية الاسلامية التي تتميز بالثبات ، والصدق ، وتصوير الطبيعة البشرية في صورتها الحقة ، وعلاج أمراضها بالدواء الناجع . لأن هذه التربية لا ترتكز على فكر بشري في أصولها ، بل على حقائق الوحي : . . ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

الفصل الثالث

الواقع التربوي للعالم الإسلامي

* النظام التربوي في العالم الإسلامي
* المناهج الدراسية
* طريقة التدريس

الفصل الثالث

الواقع التربوي للعالم الإسلامي

النظام التربوي في العالم الإسلامي:

اتفق علماء التربية في هذا العصر على أن عملية التربية في أمة أو بلد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات والمخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد انما هو لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضلة ، وأهدافها التي تعيش لها وتموت في سبيلها وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد ، وتغذيتها بالاقناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز وتسليحها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها ، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة . وأن أفضل تفسير لنظام التربية هو أنها السعي الحثيث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لانشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة[١] .

ولكن المؤسف أن العالم الإسلامي المعاصر على اتساع رقعته لم يتمكن في كثير

---

(١) ابو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية طبع دار المختار الاسلامي ط ثالثة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م

من انحائه من اختيار النظام التربوي الأمثل وفق المبادىء التي يؤمن بها .

وكان من نتيجة غلبة الاستعمار العسكري والاقتصادي والثقافي على كثير من البلاد الاسلامية أن انصاعت هذه البلاد إلى اتباع النظريات التربوية التي وفدت اليها من الغرب والشرق . . . حسب نوع الغزو الفكري الذي تأثرت به .

يقول الدكتور عبد الحميد الهاشمي :

« ان المستعمر إما نصراني حكمنا في افريقيا وغربي آسيا وجنوبها وإما شيوعي في أواسط آسيا ، ولذا ربط التعليم بالتنصير أو الالحاد أو العلمانية ، كما ارتبط التعليم بالفساد والتحلل لأن العالم الاجنبي كان منحط الخلق »[1] .

وأمام هذا الغزو الفكري في مجال التربية وجد في البلاد الاسلامية عموما ازدواجية تربوية في العقلية والتفكير . ويلاحظ الدكتور الهاشمي أن هذه الازدواجية التربوية تتجلى في ثلاثة مجالات :

أولها ـ في وجود نوعين من التعليم السائد . تعليم عصري مدني حديث لايمت بصلة إلى الثقافة الاسلامية وجوهرها ، وتعليم ديني بمعناه المحدود الضيق الذي لا يتصل بالعلوم الكونية وتطبيقاتها العملية وتكون النتيجة وجود نوعين من أبناء الأمة الواحدة في صراع ثقافي متطرف .

والمجال الثاني ـ الازدواجية التي تقوم في الفرد نفسه فهو في عقله وعلمه وتفكيره يسير في اتجاه يحارب الاسلام عقيدة وخلقا بينما هو مسلم في مظهره واسمه وتابعيته .

وأما المجال الثالث ـ فهو يتمثل في بلد يفتح بابه لكل المدارس التبشيرية من كل أمة ومن كل اتجاه ولكل مدرسة ثقافتها ولغتها وتاريخ قومها ويتوزع أبناء ذلك البلد على تلك المدارس المتنافرة والمتعددة[2] .

---

(١) من محاضرات بعنوان (التعليم بين وحدته واختلافه) ص ٩٢ من محاضرات وزارة الحج والأوقاف لعام ١٣٩١ المطبوعة بعنوان « العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي »

(٢) ص ٩٣ ـ ٩٤ من المرجع السابق .

ومع هذه الازدواجية في التعليم التي نشأت عن مفاجأة الغزو الفكري للعالم الاسلامي واستيلاء المستعمرين على مقدرات الامور في كثير من البلاد الاسلامية فان داء الأمية قد تفشى في العالم الإسلامي نتيجة للفقر والمرض، فبقي ، في كل بلد اسلامي ما يزيد على نصف سكانه محرومين من أي منهج من مناهج التربية معزولين عن العلم قديماً كان أم حديثاً .

وفي بعض البلاد الاسلامية تزيد نسبة الأمية عن سبعين في المائة من عدد السكان . وعلى الرغم من الزيادة في جملة تلاميذ المدارس الابتدائية بالبلاد العربية فإن قرابة ٨,٥٠٠,٠٠٠ طفل عربي بقوا بغير تعليم ابتدائي على الأرض العربية سنة ١٩٦٥ م فإذا أدخلنا في الاعتبار عامل السن وجدنا أن أكثر من نصف مجموع اطفال الأمة العربية في سن التعليم الابتدائي بقوا محرومين من هذا التعليم[1] .

وقد قدر عدد طلبة التعليم العالي بالبلاد العربية كلها بـ ١٥٦,٤٨٤ طالباً وطالبة سنة ١٩٦٢/٦١ م وقد بلغ هذا العدد ٢٤٨,١٥٠ طالباً وطالبة سنة ١٩٦٤/٦٣ م . . . وواضح أن هذا العدد ضئيل بالقياس إلى أمة تربو على مائة المليون[2] .

وهكذا فإن المشكلة التربوية التي يواجهها العالم الاسلامي اليوم تتمثل في اضطرابه وحيرته أمام المنهج الذي يأخذ به هل يظل معتمداً على الفكر التربوي الغربي بمدارسه المختلفة ، وهل يتابع هذه الخطوات المتغيرة في اتجاهاتها أم يعود إلى تراثه الاسلامي يستلهم منه نظرية تربوية شاملة تغنيه عن التطلع إلى ما في ايدي الآخرين .

يقول الدكتور الغنام : « غير أن أخطر المشكلات التي يواجهها التعليم في البلاد العربية هو أن هذا التعليم في معظم مراحله ما زال متحيزاً للدراسات النظرية الاكاديمية التي تباعد بين الخريج وبين الانتاج وكان من المفروض أن يصاحب التوسع في التعليم في شتى مراحله ، تطوير للدراسات فيه بما يجعلها ذات طابع عملي ويوثق صلتها بالحياة . لقد انتهى الوقت الذي كان فيه التعليم مرادفا

(١) الدكتور محمد أحمد الغنام « تعليم الأمة العربية » ص ١٠ القاهرة ١٩٦٩ م مطبعة التقدم .
(٢) المصدر السابق .

لعدم الانتاج ، وكان ناتج التعليم غير منتج ، ولقد آن للبلاد العربية جميعاً أن تعي العلاقة العضوية الوثيقة بين التعليم والانتاج في المجتمعات الحديثة[1] .

ثم يقول : « ووثيق الصلة بالمشكلة السابقة أو قريب منها على الأقل كون التعليم في البلاد العربية من حيث محتواه وأساليبه وامكاناته وادارته وعلاقاته تعليما سلفيا أكثر من أن يكون تعليما عصريا . ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا:ان مشكلة المشكلات التعليمية في البلاد العربية الآن ليست أن تقدم تعليما أو لا تقدم، وانما هي . . كيف تقدم لابناء الأمة تعليما عصريا على المستويات المختلفة من المرحلة الابتدائية إلى التعليم الجامعي »[1] .

هذه هي المشكلة حقاً،ان الدعوة ما تزال ملحة إلى ـ تعليم عصري ـ لأن التعليم الحالي رغم سيره في ركاب الفكر التربوي الغربي لا يزال في نظر بعض الباحثين ـ تعليما سلفيا ـ أي متأثرا ومرتبطا بالماضي ولو من بعض جوانبه .

وحين نمضي مع الباحث الذي عرضنا بعض أقواله آنفا . . وهو الدكتور الغنام . . نجده ينادي في آخر كتابه بالدعوة الى التعليم العصري كما يراه ، ويصوغ ذلك في عبارة موجزة « ذلك التعليم الذي يستبطن بعروبته على بصيرة اتجاهات العصر المتقدمة ويضع اطفاله وشبابه على غرارها والمعروف أن من أهم اتجاهات العصر ومقومات العلم والتكنولوجيا الديمقراطية والاتجاهات الوحدوية »[2] .

وهنا لا يذكر الباحث شيئاً عن العقيدة الدينية ولا المثل العليا ولا القيم الاخلاقية ، وانما ينحصر التعليم العصري عنده في التكنولوجيا والديمقراطية والاتجاهات الوحدوية . ولا ندري ما المقصود بهذه الاتجاهات الوحدوية ؟ ولماذا أقحمت مع التكنولوجيا والديمقراطية ؟ إلا إذا كان ذلك اقحاماً للاتجاهات السياسية .. في مسائل التربية والتعليم .

وهذا مجرد مثل للحيرة الواقعة في مجال البحث عن منهج للتربية في العالم العربي والاسلامي . . يقول الدكتور بشير التوم :

(١) تعليم الأمة العربية (مرجع سابق) ص ٦٣
(٢) تعليم الأمة العربية (مرجع سابق) ص ٦٩

« . . . ان المادة التربوية المتداولة بيننا ـ بالاضافة إلى ما فيها من القصور ـ لا تنطلق من منطلقات اسلامية ، وليس لله فيها نصيب ، بل هي تنطلق من منطلقات المربين اصحاب المبادىء والافكار غير الاسلامية أو المتعارضة مع الاسلام ، فتأتي المادة التربوية لطلابنا متأثرة بهذه الأفكار بعيدة عن الاسلام وفي بعض الاحيان متعارضة معه . ليس هذا فحسب ، بل لتأثرها الشديد بهذه الافكار التي تنبثق من قيم متشابهة احيانا ومختلفة ومتصارعة احيانا أخرى ، تأتي مفككة لا رابط بينها صعبة الفهم ، متناقضة وكثيرة التكرار . . . »[(١)] ويضرب الدكتور التوم بعض الامثلة على اساتذة التربية الذين يتحدثون عن الديمقراطية وعلاقتها بالمنهج المدرسي ويرون فيها أسلوب حياة جماعية وفردية . . والتي تعني فيما تعنيه . . أن الفرد حر في سلوكه ما لم يضر[(٢)] .

والحق أن مشكلة المنهج التربوي في العالم الاسلامي مشكلة خطيرة فكثير من اساتذة التربية في العالم العربي والاسلامي يكتفون بالنقل المباشر عن المراجع الأجنبية ويتعصب كل منهم للاتجاه التربوي الذي اتيح له أن يدرسه شرقيا كان أم غربياً .

وها هو صاحب كتاب « ابعاد متطورة للفكر التربوي » الذي نلحظ أن كل مراجعه تقريبا أجنبية ـ يتحدث عن جمود نظم التعليم العام فيقول : « يميل رجال الفكر التربوي للنظرة إلى المدارس في الوقت الحالي بمثابة كونها مؤسسات تعيش مرحلة جمود ، بل يغالي البعض قائلاً مرحلة تدهور وانحطاط وهم يرون أن المدارس في بدء قيامها شاركت في معارك ضد التقاليد الرجعية والجمود ، حيث اعتبرت هيئات رائدة ناضجة ذات قيمة ، ولكن بمرور السنين والاعوام فقدت هذه الريادة مكانتها وأوغلت المدارس في سني عمرها حتى شابهت اجدادها فيما تقدمه من نظم تعليمية فأصبحت صورة طبق الأصل من المدرسة التي عرفها تاريخ التربية ملتحقة بالجامع أو بالكنيسة حافظة للتراث ومستبقية على الاساسيات . في أوائل القرن العشرين سنة ١٩٠٠ م عاصرت المدارس فترة انعاش محدودة حيث حاولت

---

(١) د. بشير حاج التوم (تأصيل تربية المعلم) ص ٦ مكة ١٤٠١ هـ.
(٢) المرجع السابق ص ٧ ـ ٨

اتباع تعاليم ديوي الرومانتيكية المثالية المعارضة للتقاليد ولكن تلك المبادىء لم تتح لها الظروف الموائمة ولعجز المربين عن مواجهة ما قدم اليهم من أوجه نقد ، فقد آثروا الاستسلام والانسحاب من المجال »[1] .

والذي يعنينا في هذا النص أنه يعبر عن وجهة غالبة لدى أساتذة التربية في العالم الاسلامي . إنه الشوق الملح لعصرية التربية وإنه النفور من الماضي والتراث والتقاليد .

فالكاتب يرى من حسنات المدارس في بدء قيامها ولم يحدد لنا الفترة التي يقصدها أنها شاركت في معارك ضد التقاليد الرجعية والجمود ، ولم يبين لنا أيضا هل يعني ذلك في العالم الاسلامي أم في أوروبا في بداية عصر النهضة . . ؟

غير أنه يعود فيجمع بين المدارس التي كانت ملتحقة بالجامع والكنيسة في أن كليهما رجعية وجمود وهو يذكر أن تعاليم « ديوي » رومانتيكية مثالية ، والمعروف أن تعاليم ديوي كما سبق أن عرضتها ـ في الفصل السابق ـ نفعية واقعية بعيدة عن الرومانتيكية وعن المثالية .

والمهم أنه يجعل هذه التعاليم معارضة للتقاليد ، وكأن معارضة التقاليد أمر مطلوب لذاته ، ولو كانت هذه التقاليد صالحة أو مؤسسة على مبادىء سليمة .

ويعبر عن هذا الصراع بين القديم والجديد في مجال البحث عن منهج تربوي في العالم الاسلامي ما أشار إليه الدكتور عبدالله عبد الدائم في كتابه « التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها » فيقول . . . « ظهر في البلاد العربية تيار تربوي واضح خلال العقدين الآخيرين تجلى في بروز عدد من المربين العرب ، وفي انشاء بعض مراكز البحث التربوي وفي وضع العديد من الكتب والدراسات والابحاث وفي نقل كثير من التجارب التربوية العالمية والفكر التربوي العالمي وقد لقي هذا التيار في بداية أمره بعض المقاومة وقام في هذا المجال ايضا صراع بين القديم والحديث بين الاداريين والمربين وبين اعداء الافكار المستوردة وبين الراغبين في الافادة من حصاد التجربة العالمية بين القائمين بالحلول السريعة المرتجلة لمشكلات

---

(١) الدكتور نبيه ياسين (أبعاد متطورة من الفكر التربوي) ص ٩٦ الطبعة الأولى مكتبة الخانجي بالقاهرة .

التربية وبين المؤمنين بضرورة بناء القرارات والحلول على أسس البحث العلمي والتجريبي ، غير أن الحركة التربوية ما لبثت حتى ثبتت اقدامها ولا سيما بعد الجهود القوية التي قام بها بعض المربين البارزين وبعد أن أصبحت دراسة المواد التربوية شرطا من شروط ممارسة التدريس في التعليم الثانوي فضلا عن الابتدائي ، وبعد أن انفتحت البلاد العربية على التجربة العالمية في ميدان التربية عن طريق المؤتمرات وعن طريق التعاون الدولي في مجال الثقافة .

ولاشك أن هذا الصراع حول الافكار التربوية ثم ما انتهى إليه هذا الصراع من غلبة التيار التربوي العلمي ، وما رافق ذلك كله من أصداء في أوساط الرأي العام أمور ساعدت على تكوين عقلية تربوية جديدة وأساليب تربوية جديدة سادت في أوساط المربين والاداريين والمسؤولين عن السياسة التربوية وكانت عاملا هاما من عوامل تطوير التربية وتجديدها وبنائها على أسس علمية وتجريبية » .

هكذا يرى الدكتور عبد الدائم أن الصراع بين القديم والجديد قد انتهى بغلبة التيار التربوي العلمي وهو تيار مستمد بلا شك من الفكر الغربي وإن كان الدكتور يعود بعد ذلك فيتحدث عن تطور الفلسفة التربوية في البلاد العربية والذي ساعد على تطور الفلسفة الاجتماعية والسياسية بوجه عام . . فيقول :

« وقد بدأت معالم هذه الفلسفة التربوية بالتشكيل منذ الخمسينات وأخذت تتضح خاصة في الستينات، نتيجة لظهور الحركات السياسية والاجتماعية الجديدة ونتيجة لانتشار المفاهيم التربوية الحديثة وذيوع علم التربية والدراسات التربوية والمؤتمرات التربوية . وهكذا تكونت شيئا بعد شيء خطوط السياسة لفلسفة تربوية عربية جديدة لم تعد تسودها كما كانت في الربع الثاني من القرن العشرين النزاعات بين فلسفات التربية المختلفة في العالم كالنزاع بين التيار الانكلوسكسوني والتيار اللاتيني والنزاع بين التربية الغربية والتربية السوفيتية بل غدت أقرب إلى أن تكون فلسفة قومية أصيلة تغتذي بالفلسفات العالمية ، وتدمجها في إطار فلسفة تربوية عربية مستقلة . ومن أهم عوامل هذه الفلسفة التربوية التي بدأت تحكم أهداف التربية وسياستها في السنوات الأخيرة : الأخذ بوحدة الثقافة في إطار متنوع ودمج التراث العربي بالتراث الانساني والتأكيد على المعرفة العلمية وأسلوب التفكير العلمي وعلى

تنمية الاتجاهات العلمية وبناء التربية على أساس العمل والانتاج وعلى أساس الايمان بوحدة العمل اليدوي والفكري ، وتنمية روح الابتكار والابداع والتجديد وتنمية روح العمل الجماعي والتعاون المشترك » .

ولا تتضح لنا معالم هذه الفلسفة التي غدت أقرب إلى أن تكون فلسفة قومية أصيلة تغتذي بالفلسفات العالمية وتدمجها في إطار فلسفة تربوية عربية مستقلة . . . فهذه المعالم التي يتحدث عنها الدكتور عبد الله عبد الدائم ليست موضع اتفاق في البلاد العربية ، فضلا عن البلاد الاسلامية فما معنى دمج التراث العربي بالتراث الانساني والمعروف أن لكل تراث طابعه وقيمه وتقاليده . . وفي أي البلاد العربية يتضح لنا الايمان بوحدة العمل اليدوي والفكري ؟؟ وما هو الفرق بين المعرفة العلمية وأسلوب التفكير العلمي وتنمية الاتجاهات العلمية ؟ .. وما المراد بكل منها ؟ وقد وردت هكذا في كلام الدكتور عبد الدائم على أنها معالم الفلسفة التربوية العربية القومية التي تغتذي بالفلسفات العالمية .

أليس ذلك دليلا عن أن هذه الفلسفة العربية التربوية لا تزال في دائرة الحيرة والبحث عن هدف . وما تزال متباينة في كثير من البلاذ العربية والاسلامية في تأثرها بالفلسفات المادية الوضعية شرقية كانت أو غربية .؟

المناهج الدراسية :

في ظل تلك الحيرة وهذه الازدواجية التربوية تعيش المناهج الدراسية في العالم العربي والاسلامي ممثلة لاتجاهات الفلسفة التربوية السائدة . . فهي إما مقتبسة من الغرب ـ على علاتها ـ وإما محصورة في دائرة التقليد والاتباع والنقل عن الكتب القديمة دون تطوير للوسائل والمناهج .

ويبدو الأمر خطيرا في مجال العلوم الانسانية حيث يظهر سلطان الثقافة الغربية ويتضح مدى الانصياع لمناهجها مهما كانت بعيدة عن الاسلام .

يقول الاستاذ محمد المبارك : « إن جميع جامعات البلاد الاسلامية لاتزال تدرس هذه المواد من منطلقات الثقافة الغربية وفلسفاتها وتصورها للوجود ولم ترسم حتى الخطة لبناء ثقافي جديد ، ولا سيما في هذه المواد الفكرية الهامة ، يقام على

أسس الثقافة الاسلامية وهي خطة يجب أن توضع بعد أن يوجد العزم الصادق على التحويل ، أعني تحويل مواد العلوم الانسانية عن الصياغة الغربية إلى الصياغة الاسلامية . فبينما جاء الماركسيون وحولوا جميع العلوم الانسانية وصاغوها صياغة ماركسية في خلال القرن الماضي لا يزال الاساتذة والمؤلفون في الجامعات والمعاهد القائمة في البلاد الاسلامية يسيرون بكل انصياع وطاعة وراء أساتذتهم الغربيين يتبعون خطواتهم ويترجمون كتبهم وينقلون آراءهم ويأخذون بنظرياتهم ويدرسونها ويكونون على أساسها أجيالا جديدة يزداد بهم جيش الثقافة الغربية»(١) . .

ويضرب الاستاذ محمد المبارك بعض الامثلة على هذه الافكار الخطيرة التي تتسرب إلى الطلاب عن طريق المناهج المقتبسة من الغرب ومنها :

« الدين ظاهرة اجتماعية يريدون بذلك أن كل دين ذو منشأ أرضي ومصدر انساني ولهم نظريات في تعليل عقيدة أو فكرة الايمان بالله كنظريتي « دركهايم » و« ماركس » اليهوديين وغيرهما من النظريات الاجتماعية التي لا تفرق بين (الله) باعتبار ذاته حقيقة تصف الوجود بأدلة عقلية ، وفكرة الانسان على الإله التي يمكن أن تتشوه وتتطور وتصيب وتخطيء »(٢) .

« ومنها وصف الدين بأنه حركة رجعية وأنه يوقف التطور ويخالف العقل وتعرض هذه الفكرة بمناسبة الكلام عن الصراع بين الكنيسة والنهضة في أوروبا ومحاولة رجال الكنيسة كبت الحركة العلمية فتؤخذ هذه الفكرة وتعمم على الاديان عامة ، ويحكم بها خطأ على الاسلام ويروج لها الباحثون من اليهود بوجه خاص وأنه أمر شخصي وضرب من الرجعية » (٣).

والواقع أن المناهج الدراسية في العالم الاسلامي تعكس الحيرة نفسها الموجودة في البحث عن فلسفة للتربية تكون موضع اتفاق الجميع . . . . ولنستمع إلى ما

---

(١) الاستاذ محمد المبارك ـ من مطبوعات وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة(سلطان الثقافة الغربية على الفكر الاسلامي المعاصر) ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩ « من العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي ».

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ ـ ١٤٠

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠

يقوله الدكتور عبد الله عبد الدائم في صدد البحث عن فلسفة تربوية عربية فيقول :

« إن المسألة أولا وأخيرا صراع بين الجمود والتغيير ولا سبيل إلى غلبة التغيير على الجمود إذا لم تخلق التربية الأفراد الذين يريدون التغيير ويقدرون عليه »(١).

ويقول عن هذه الفلسفة المنشودة : « إنها الفلسفة المؤمنة بقدرة الانسان على تجاوز ذاته ومجتمعه والارتقاء في معارج الانسانية الحقة وعلى خلق المجتمع الانساني المتحضر حقا ، والمؤمنة بالتالي أن كل غاية وأصل كل تربية أن تقتلع الزيف الذي يعصف بتكوين الانسان فيغل قواه ويعطل إبداعه ويشل تحركه نحو التجدد »(٢) .

إلى أن يقول . . . « إنها الفلسفة التربوية التي تصغي إلى نداءات الطبيعة الانسانية إلى أنينها وشكواها من الحواجز والحدود والسدود وتقيم نفسها أداة لتفتيق ما تجهله من امكانات الانسان ورؤاه ولتيسير ما لا تعرفه من قدرته وطاقته »(٣) .

ومن هنا يدعو الدكتور عبد الدائم إلى تجاوز الاطار التقليدي للتربية والاخذ بتكنولوجيا التربية . . وهي دعوة تتصل بتغيير المناهج الدراسية التقليدية ، إذ ينبه إلى ملاحظة « أن الأطفال يتعلمون اليوم عن طريق المدرسة الموازية عن طريق التحاك مع العالم الخارجي بواسطة وسائل البث الجماعية أفضل مما يتعلمون في أسوار المدرسة ».

ويرى ، أن من الحق أن نقول: إن مدارسنا ـ باطارها التقليدي ـ تقضي وقتا يزداد طولا ، وتنفق طاقات بشرية ومادية تزداد اتساعا من أجل إعداد الطلاب لما لم يعد موجودا أو هو في طريق الزوال(٤) .

فإذا أردنا تقييم المناهج الدراسية الغالبة في البلاد الاسلامية فإننا نلاحظ أنها لم تبلغ هدفها المرجو في كلا الجانبين . . جانب التراث وجانب المعاصرة

(١) من كتاب التربية في البلاد العربية ص ٣٢٤
(٢) كتاب التربية في البلاد العربية ص ٣٢٤
(٣) المرجع السابق ص ٣٢٥
(٤) المرجع السابق ص ٣٢٨

والحداثة . . فلا هي وثيقة الصلة بالتراث الاسلامي الاصيل ولا هي تستطيع أن تكون الاساس المتين للعقائد والمبادىء الاسلامية . . . . إذ أنها تعطي قشورا من الثقافة الاسلامية والعربية لا تصل بالناشىء إلى الجذور العميقة لهذا التراث الإسلامي وفي الوقت نفسه فإن هذه المناهج متخلفة في ميادين العلوم البحتة والتطبيقية عن القفزات السريعة التي تخطوها هذه العلوم في الغرب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما سبقت الاشارة إليه من تقليد هذه المناهج للمناهج الغربية في ميادين العلوم الانسانية كالتاريخ والاجتماع وعلم النفس والأدب ، دون مراعاة للخلافات الاصيلة بين هذه المناهج وبين الحقائق الاسلامية ، لوضح لنا من ذلك كله أن المناهج التعليمية في البلاد الاسلامية عاجزة عن تكوين المسلم القوي في عقيدته الموصول بتراثه المتمكن من علوم العصر المحتفظ بالأصالة والقدرة على نقد الأفكار البشرية ووضعها في إطارها الصحيح .

اعداد المعلم :

تتأثر طريقة اعداد المعلم في البلاد الاسلامية بالمشكلة نفسها مشكلة الفلسفة التربوية والمناهج الدراسية .

ففي ظل ازدواجية التعليم في كثير من البلاد الاسلامية ما بين تعليم ديني - وتعليم مدني ، وفي ظل الصراع بين الجمود والتطوير كما يقول الباحثون العرب والمسلمون المعاصرون لابد أن يقع الاضطراب ويحدث الخلاف في مناهج اعداد المعلم وفي تصور الغاية التي عليه أن يبلغها .

فالمعلمون في الكتاتيب والمدارس الاولية الساذجة في بعض البلاد العربية والافريقية المسلمة لا يتلقون أي قدر من المناهج التربوية وإنما يسيرون على نمط تقليدي متوارث من الاكتفاء بحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه ومعرفة القراءة والكتابة وقد يضاف إلى ذلك بعض المبادىء الأولية لعلم الحساب . ولا يمكن تسمية هذا النمط من التعليم تربية لأنه لا يسير وفق أي قواعد . . لا اسلامية أصيلة ولا غربية حديثة . . . وإنما هو نوع من التلقين البدائي قد يفيد في مجال اكساب التلميذ بعض الخبرات التي تعتمد على الحفظ والتلقين ، والتي لا تكسبه أي قدر من الاعداد التربوي المقصود . وفي المقابل فإن معاهد إعداد المعلمين

وكليات التربية في العالم الاسلامي تتأثر بشكل عام بالنظريات التربوية الغربية على تفاوت في المدارس والاتجاهات وقد تتغير هذه المعاهد في فلسفتها التربوية من النقيض إلى النقيض ، تبعا للاتجاهات الاجتماعية والسياسية السائدة . وقد يحدث الخلط والمزج بين هذه الفلسفات .

يقول الدكتور بشير التوم عن الكتب التربوية السائدة في كليات التربية : (إن هذه الكتب تحمل مادة ليس فيها تصور واضح لطبيعة المواد التربوية وليس فيها دراسة متأنية متعمقة مما يجعل من السهل على مدرس واحد أن يستعين بهذه الكتب ليدرس أكثر من مادة تربوية فترى المؤلف يكتب كتابا تربويا يجمع فيه بين تخصصات مختلفة كالذي يكتب كتابا في المناهج فيتناول أسسها النفسية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية أو كالذي يكتب كتابا في أصول التربية فيتحدث عن الاصول الفلسفية في كتاب ، وعن الاصول الثقافية في آخر وعن الاصول الاجتماعية في آخر . . . وهكذا . . . أو كالذي يكتب كتابا ويسميه (أبعاد متطورة للفكر التربوي فيأتي حديثه عاما وخليطا من فلسفة واجتماع وتاريخ)[1] إلى أن يقول (إن عجزنا عن الوصول إلى تصور واضح لدور كل فرع من فروع التربية في اعطاء المعلم ما يعينه على فهم تلاميذه وطبيعة مجتمعه الذي يعيش فيه وفي تحسين طريقته في التدريس هو الذي كان نتيجته تداخلا ملحوظا أصبح من الصعب معه التمييز بين فروع التربية المختلفة وسطحية جعلت كلامنا عاما وبعيدا عن التخصص الدقيق الذي يستلزم عمقا في المادة وإدراكا كاملا لطريقة البحث فيها . وأهم من ذلك كله فإن المادة التربوية المتداولة بيننا بالاضافة إلى ما فيها من القصور الذي أشرت إليه سابقا لا تنطلق من منطلقات اسلامية وليس لله فيها نصيب[1]).

طريقة التدريس :

يقول الدكتور محمد أمين المصري :

« إن الطريقة التي تتبع في المدارس في البلاد الاسلامية لا تؤدي إلى باحثين ، ذلك أنها لا تعود الطلاب على البحث ولا تنمي لديهم الثقة بأنفسهم وروح الإقدام

---

(١) تأصيل تربية المعلم للدكتور بشير الحاج التوم ص ٤، ٥، ٦

والمغامرة والابتكار والثبات والدأب . إن الذي نشعر به أن أكثر أبنائنا يكرهون البحث ويسأمون من المطالعة ويشعرون بثقل الدرس على أنفسهم وليس السبيل لتحبيبهم بالمطالعة أن نقول لهم: إن المطالعة جميلة جدا لذيذة ذات قيمة كبيرة ولكن السبيل أن يشعروا هم بتجاربهم التي يمرون بها باللذة في المطالعة وعظم فائدتها ، السبيل أن يشعروا بنجاحهم في بحوثهم فلا شيء يؤدي إلى النجاح مثل الشعور بالقدرة على السير في الموضوع والنجاح فيه . يجب أن يعتاد الطالب مواجهة المشكلات العلمية ويجب أن يعتاد السير بنفسه في ايجاد الحلول لها فإذا لم يتعود ذلك في دراسته الثانوية والجامعية لم يستطع في مستقبل ايامه أن يضع مخططا لمشروع ، ولم يستطع تنفيذ مشروع »[1] .

ويقول : « ثم إن هذه الطرائق التي تتبع في المعاهد والجامعات في البلاد الاسلامية لا تنشىء روح التعاون بين الطلاب لأن الطلاب يعتادون فيها القيام بأعمالهم فرادى وليس هنالك مشروع يتعاون فيه جميع الطلاب يؤدي كل جزءا منه ويشعر كل بمكانته في الجماعة بامداده لها واستمداده منها وينشأ من فقدان ذلك نمو روح الاثرة عند الافراد وعدم القدرة على الانسجام في أية مجموعة . وإن روح الأثرة وتفضيل المصلحة الخاصة هي الروح التي يغذى بها الطفل في منزله وهي الروح السائدة في مجتمعاتنا الاسلامية ويقترن بهذه التربية التردد والحذر والخوف من الاقدام » .

وبعد هذا كله تتسم الدراسة لدينا بطابع المصلحة لانها وسيلة للعيش ولأنه وليس في جو المدرسة ولا في جو المنزل ما يذكر الطالب بأن هنالك أمة تنتظره وأن رسالة لهذه الأمة يجب أن يحملها ويحسن اداءها[2] .

ويرى الدكتور محمد أمين المصري أيضاً أن المدرسة في البلاد الإسلامية كما اخفقت في تخريج عالم باحث مخترع مبتكر مخطط اخفقت أيضاً في تخريج ابناء

---

(١) وجهة التعليم في العالم الاسلامي ـ محاضرة للدكتور محمد أمين المصري رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز سابقا . ص ١٦٧ من مجموعة محاضرات (العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي) .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨

يحملون رسالة الإسلام يعيشون في سبيلها ويناضلون من أجلها[1].

وبالنسبة للتعليم الديني يلاحظ الدكتور المصري أن طلاب المدارس الشرعية على الغالب هم على شيء من ضيق الأفق وعدم القدرة على ادراك المشكلات الحاضرة والبعد عنها[2].

كما يلاحظ أيضاً أن الذين يلحقون بالدراسات الاسلامية في مرحلتها الجامعية من المدارس الثانوية العامة يتفوقون في الدراسات الاسلامية نفسها على طلاب المدارس الشرعية. وليس لهذا الا معنى واحد هو أن طلاب الدراسات العامة على ضعفهم احسن حالاً من طلاب الدراسات الاسلامية وأن هؤلاء كانوا ضحية طرق قديمة وأساليب عتيقة، وقد تكون لديهم على أثر ذلك عادات عقلية ونفسية تعوقهم عن السير في الدراسة والبحث[3].

وهذه الملاحظات تكشف أبعاد المشكلة في المناهج وطرق التدريس.

فالمناهج والطرق المتأثرة بالغرب، معيبة في نظر الكثيرين والمناهج والطرق المحافظة على الطابع القديم معيبة حتى في نظر المفكرين المسلمين الذين يرون أنها تعوق عن السير في طريق الدراسة والبحث !!!!

وإذن فالحاجة ماسة إلى الوصول إلى كلمة واحدة يرتضيها الجميع .. دعاة التجديد .. وانصار الاصالة .. وليس ذلك بالأمر السهل في ظل هذا الصراع الفكري وهذه التيارات المتضاربة في الثقافات والاتجاهات العلمية والاجتماعية.

إن غياب منهج التربية الاسلامية الصحيح القادر على مواجهة مقتضيات التغيير والتطور هو المسؤول عن هذه الفوضى في مجال التربية في العالم الاسلامي وهو المسؤول عن هذا الانبهار بفلسفات الغرب التي يحاول الشرق أن يلاحقها ويسايرها دون جدوى لأنها وجدت في بيئة غير بيئته وفي مناخ فكري ونفسي واجتماعي مغاير لمناخه.

ان احترام الاصالة يفرض علينا أن نواجه هذه المشكلة مواجهة صريحة صحيحة بدلاً من هذا التخبط وهذا الصراع غير المتكافىء بين المجددين والمحافظين.

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٩

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠

(٣) المرجع السابق ص ١٧٠ ـ ١٧١

الفصل الرابع

النظرية التربوية الاسلامية

١ - تربية العرب قبل الإسلام
٢ - التربية الاسلامية

أ - اهميتها
ب - أهدافها
جـ - اتجاهاتها
د - مناهجها

الفصل الرابع

تربية العرب قبل الإسلام

تصدر التربية في أي مجتمع . . عن قيم ذلك المجتمع وتصطبغ بصبغته الحضارية والاجتماعية . . إذ أن التربية تعبر عن إرادة المجتمع في تنشئة أجياله ، وفق ما ارتضاه من أهداف ووسائل .

ولم يكن المجتمع العربي ـ قبل الإسلام ـ بدعا من المجتمعات الانسانية ، فكانت له أهدافه التربوية وكانت له وسائله أيضاً . . وقد قسم بعض الباحثين في التربية العربية قبل الإسلام ذلك المجتمع إلى قسمين : بدو وحضر .. وجعلوا لكل منهما أسلوبه في التربية .

يقول الاستاذ محمد عطية الابراشي : « وكانت التربية الإسلامية عند سكان البادية في الجاهلية مختلفة عن التربية لدى أهل الحضر في وسائلها وأغراضها ونظمها وطرقها »[١] .

ولكني أرى ، أن الاختلاف بين البدو والحضر ـ في الجاهلية ـ لم يكن في الأغراض والأهداف ، وإنما ينحصر في الوسائل والأشكال . . كما لا أرى أنه كان هناك نظم وطرق لهذه التربية ، إذ كانت ساذجة بسيطة . . ليس لها مناهج ولا طرائق .

---

(١) التربية الاسلامية وفلاسفتها للاستاذ محمد عطية الابراشي الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ عيسى الحلبي ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م

فالعربي ـ في الجاهلية ـ بدوياً كان أم حضرياً ـ إنما يستهدف في تربيته لولده ، اعداده ليكون محارباً معه . . وضارباً في فجاح الأرض في طلب الرزق ، رعياً كان أو تجارة ، كما كان يستهدف من العناية بجسمه وفتوته ونشاطه ، أن يكون الولد له زينة وجمالاً ، يفتخر به ويباهي انداده . . ولهذا كانوا يستكثرون من الأولاد ، ويفرحون بالذكور دون الاناث كما أخبر بذلك القرآن في قول الله سبحانه : ﴿وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾(١) .

بل كان منهم من بلغت به القسوة مداها . . فوأدوا البنات خشية العار ، وخوفاً من أن يسبيهن الأعداء فيفتضحن . . كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أم يدسه في التراب﴾ . . ويقول سبحانه : ﴿وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾(٢) .

ووأد البنات ـ الذي كان بعض العرب يرتكبونه في الجاهلية ، يدل على خلل في المشاعر . . وعلى جهل بحقيقة التربية ، إذ لو أدركوا خواص التربية وأهدافها لعلموا أن تربية المرأة على منهج قويم ، كفيل بأن يجعلها فخراً لأهلها . . لاعارا وشنارا .

ويدل على نظرة العرب في التربية على أنها جانب نفعي لهم ، وليس حق الأجيال في مستقبلها . . أنهم كانوا يسمون أبناءهم بأغلظ الأسماء وأخشنها ، كحرب وصخر وأسد وذئب . . بينما كانوا يسمون عبيدهم بأحب الاسماء وأيسرها ، كياسر . . وميسرة . . ونحو ذلك . وحين سئل بعضهم عن ذلك قال : إنما نربي أولادنا لأعدائنا ، ونربي غلماننا لأنفسنا ـ ! !

وقد عالج الاسلام هذا الأثر من آثار الجاهلية ـ فيما بعد ، حين كان رسول الله ﷺ يغير بعض الأسماء الكريهة إلى أسماء مستحبة . . بل أعلن عليه الصلاة والسلام في حديث له : « أن من حق الولد على والده أن يحسن اسمه » .

---

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩

(٢) سورة التكوير ٨ ، ٩

ولنرجع إلى ما سجله الباحثون في تاريخ التربية في العصر الجاهلي. يقول الاستاذ الابراشي عن التربية في العصر الجاهلي عند عرب البادية :

« كانت التربية عند العرب في البادية فطرية ، تميل إلى التربية الطبيعية وتعد أطفالهم لكسب معيشتهم والحصول على ما يكفيهم لحفظ حياتهم ، فالطفل العربي كان يحاكي أباه في أقواله وأفعاله ، وعاداته وتقاليده ، ويسير في الطريق التي سار فيها أبوه ليكسب معيشته ويلبس كما يلبس ويعيش في خيام كما يعيش ، ويميل إلى الحياة الحرة في الخلاء ويتمرن على الحراسة ليلاً وصد الأعداء ، وقتل الوحوش التي تقترب من مساكنهم .

والطفلة العربية تقلد أمها في تصرفاتها وأعمالها ، فتحلب معها الماشية ، وتطحن الحب بالرحى ، وتعد الطعام على الطريقة البدوية ، وتصحبها في رعي الغنم ، وتشاركها في كل عمل تقوم به من الصباح إلى المساء .

وبهذه الوسيلة تجد أطفال العرب يربون تربية استقلالية طبيعية يعتمدون فيها على أنفسهم ولا يتكلون على غيرهم يحبون حياة الحرية ، بعيدون عن المدنية ، ويحيون حياة فطرية يتمتعون فيها بالشمس حين تشرق وجمالها حين تغرب ، والسماء الصافية والجو الجميل »[1] .

وهذه الفقرة لا تفيدنا شيئاً محدداً واضحاً فيما يتعلق بغاية التربية عند العرب ، أكثر من أنها كانت عملية تقليد ومحاكاة . . الولد يحاكي أباه ، والبنت تحاكي أمها .

وفي رأيي ـ أن أهداف التربية في المجتمع الجاهلي يمكن معرفتها من خلال حديث القرآن عن عيوب الجاهلية ومفاسدها ، ومن خلال النظر في القيم التي تضمنها الشعر الجاهلي ـ على أنها أهداف للحياة ومثل يسعى اليها العربي الجاهلي جاهداً ، ويطبع ابناءه عليها .

فقد حرص الجاهليون على نقل معتقداتهم وأساطيرهم وخرافاتهم إلى

---

(١) المرجع السابق : التربية الاسلامية ص ٧

ابنائهم . . وكانوا يجتهدون في ألا يحيدوا عنها ولا يتجهوا إلى غيرها . . نرى ذلك في حديث القرآن عن قوم نوح ـ وهم جاهليون كالعرب سواء بسواء ، حتى في أسماء أصنامهم ومعتقداتهم . . فحين دعا نوح عليه السلام على قومه قال :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ (١) .

أي أنهم كانوا يطبعون أولادهم بطابعهم ، ولا يسمحون لهم بمعرفة الحق أو الاهتداء إلى الصراط المستقيم .

ولهذا نجد في أخبار السيرة النبوية ، أن الرسول ﷺ قد هداه الله قبل الإسلام ، إلى البعد عن الاصنام ، وترك مفاسد الجاهلية ، ولكن أهله كانوا يلحون عليه في شهود أعيادهم ، ويتعجبون من عزوفه عن مجامعهم ، فكان يأبى عليهم ذلك ولا يجيبهم إلى ما يطلبون منه .

قال ابن هشام : « وكان رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر لي ـ يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، أنه قال : لقد رأيتني في غلمان قريش، ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى واخذ ازاره فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك ازارك. قال: فأخذته وشددته علي، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري عليّ من بين أصحابي »(٢).

ويقول السهيلي في شرحه لابن هشام تعليقاً على هذه الحادثة : « وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة وكان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها »(٣).

والمغزى في ايراد هذه القصة : أن المجتمع الجاهلي ، ما كان يرى بأسا في

---

(١) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧
(٢) سيرة ابن هشام ١٨٣/١ تحقيق الاساتذة : السقا والابياري وشلبي طبعة مصطفى الحلبي . القاهرة ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥
(٣) المرجع السابق ١٨٣/١

تعري الفتيان أثناء العمل . . بينما نزه الله رسوله ﷺ عن الانسياق وراء التقاليد المتبعة في طفولته وشبابه . . بل إن رسول الله ﷺ في شبابه قد نزهه الله عن المشاركة في لهو الجاهلية في حفلات العرس . . فحين أراد أن يسمر كما كان يسمر شباب مكة في حفلات العرس ألقى الله عليه النوم في كلتا المرتين ، فلم يوقظه الا مس الشمس .

ومعنى ذلك أن اسلوب الحياة الاجتماعية كان يفرض نفسه على كل ناشىء في المجتمع الجاهلي ، لا يملك منه فكاكا . . بل إن العرب كانوا يهزأون بمن يعتزلون مجتمعهم هذا كما صنعوا بالحنفاء من أمثال زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل . ويدلنا على قوة التقاليد الجاهلية وشدة أسرها أمران :

١ - إن المشركين في استمساكهم بعبادة الاصنام ، كانوا يتعللون بأنها تراث آبائهم . . وانهم دارجون على ما كان عليه آباؤهم . . كما قال سبحانه ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ (١)

٢ - إنهم في لهوهم وقسوتهم كانوا يحتجون أيضاً بأن هذا هو الموروث الذي عليه نشأوا . . كما قال سبحانه ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾(٢) .

ومعنى ذلك أن العربي كان يحاول طبع ولده بطابعه . . . لا يريه في الحياة إلا ما يراه . . ولا يتيح له المجال للبحث أو المناقشة . ولهذا ظل العرب قانعين بحياتهم تلك ، يتناقلون أساطيرهم عن الجن والغيلان والعنقاء . . ويتوارثون تجاربهم الساذجة المحدودة . . كما قال شاعرهم :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وإذا رجعنا إلى سيرة المصطفى ﷺ لوجدنا أن نشأته عليه الصلاة والسلام يتيماً ، كانت من اختيار الله له وتدبيره لأمره إذ تولى الله سبحانه تأديبه وتربيته . . كما قال سبحانه : ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ ولهذا شب رسول الله ﷺ على نمط لم يكن

(١) سورة البقرة (١٧٠)
(٢) سورة الاعراف (٢٨)

مألوفاً في بيئته . . وكان له من الكمالات والصفات الكريمة ما لم يكن لأقرانه . . فسمي الصادق الأمين . . وعزف عن كل اثم ومنكر لأن يتمه فسح أمامه المجال للاختيار . . . . ولم يكن هناك من يقسره على نمط الجاهلية الذي ينشأ عليه كل ناشىء .

التعليم في الجاهلية :

« لم تكن هناك مدارس في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما لم يكن هناك تعليم نظامي على نحو من الانحاء ، وذلك لأن هذا التعليم النظامي لا يتفق مع طبيعة التنقل والترحال اللذين فرضا على العرب الجاهليين ، ولذلك كانت الأمية منتشرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام »(١) .

ويقول الدكتور الاهواني :

« لم تكن في بلاد العرب كتاتيب منتشرة يذهب اليها الصبيان ، وان الذين عرفوا القراءة والكتابة هم بضعة نفر من الطبقة الرفيعة ، تعلموا الكتابة بحكم صلتهم بغيرهم من الدول المجاورة ، كالفرس والروم ولحاجتهم للتجارة ، وذلك في مكاتب، معظم الروايات تدل على أنها كانت لليهود »(٢) .

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن الكتاب :

« وجد هذا النوع من الكتاتيب قبل ظهور الاسلام ، ولو أنه كان قليل الانتشار ، ويقال : إن أول من تعلم الكتابة العربية من أهل مكة هو سفيان ابن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وقد تعلماها من بشر بن عبد الملك الذي تعلمها من الحيرة . ويروي ابن خلدون أن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم ابن سدرة .

والخط من الصنائع الحضرية كما يقول ابن خلدون ، وقد تعلمه هؤلاء

---

(١) في التربية الاسلامية للدكتور عبد الغني عبود ص ١٧٩ ـ ط دار الفكر العربي ١٩٧٧ م .
(٢) التربية في الاسلام للدكتور احمد فؤاد الاهواني ص ٧٧ ط دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م

المكيون من البلاد المتحضرة التي كانوا يرحلون اليها في تجارتهم ولكن أول شخص اتخذ تعليم الخط مهنة له في جزيرة العرب هو رجل من وادي القرى أقام بها وعلم الخط قوماً من أهلها . وبهذا بدأت القراءة والكتابة تنتشر في جزيرة العرب ، ولكن انتشارها كان بطيئاً ، إذ أنه لما جاء الإسلام كان عدد القرشيين الذين يستطيعون القراءة والكتابة سبعة عشر رجلاً فقط »[1].

إن الأمة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية ، لا تشيع فيها الكتابة ولا تحفل بها . . وقد ظل ذلك الحال حتى في أعقاب نزول القرآن ، الذي دعا إلى العلم وأقسم بالقلم . . ونوه بالكتابة . . فلم يتغير ذلك الحال إلا مع الزمن ، وبتأثير الحاجة إلى تعلم القرآن وعلوم الدين . . بدليل أن القرآن يتحدث عن الاشهاد في الدين وتسجيله بالكتابة فيقول : ﴿وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة﴾[2]. أي أن الكتاب كانوا قلة نادرة حتى بعد نزول القرآن ، لأن الامية لا تزول بين يوم وليلة ، بل احتاجت جهوداً متواصلة للقضاء عليها . . . ونتذكر هنا أن رسول الله ﷺ جعل من فداء أسرى بدر من المشركين أن يعلم من يقرأ منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

واذن فالبحث عن نشأة الكتاتيب في المجتمع الجاهلي أمر لا طائل منه ، وهو تكلف ومعاناة وحدس وظن . . والا فمن هو هذا الرجل الذي يروي لنا الدكتور شلبي أنه أول من اتخذ الخط مهنة له في وادي القرى . . وأين تلامذته الذين أخذوا عنه . . ما دامت النتيجة أنه لم يكن في قريش يوم جاء الاسلام الا سبعة عشر رجلا يحسنون القراءة والكتابة .

ان علينا في هذا المجال أن نقرر أن العرب لم يعرفوا التعليم المنهجي قبل الاسلام ، وانهم أمة أمية ، كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه إذ قال :

﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[3] .

---

(١) التربية الاسلامية للدكتور أحمد شلبي ص ٤٤ الطبعة السادسة القاهرة ١٩٧٨ م .
(٢) سورة البقرة ٢٨٣
(٣) سورة الجمعة ٢

وقد كانت بعثة هذا الرسول ﷺ ايذانا بانتقال العرب في حياتهم الدينية والتربوية من حال إلى حال .. فقد أرسله الله يبلغهم آياته .. ويزكيهم أي يطهر أخلاقهم ونفوسهم من ادناس الجاهلية ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، اللذين يجمعان كل المعارف الصحيحة والتجارب النافعة والأفكار القويمة .. وشتان بين الحالين ، وبعد ما بين الطريقين ﴿ وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ . والضلال هو الغيبة عن الحق والحيدة عن الصراط المستقيم .. وكذلك كان العرب في جاهليتهم .. غائبين عن الصواب .. متبعين للأوهام والظنون ، بعيدين عن مناهج العلم والتربية السليمة .

ولهذا نعرض عن استقصاء ما حاول بعض الباحثين تكلفه من وجود مناهج تربوية عند العرب في الجاهلية ، أو تأثرهم ببعض الحضارات التي كانت سائدة في ذلك الحين ... وغاية الأمر أن العرب جمدوا على تقاليدهم الباطلة وورثوها أبناءهم ... وكانت مقاومتهم للاسلام عنيفة بسبب هذا الجمود المعبر عن الكبرياء والأنفة . ولنفسح الطريق بعد هذا للحديث عن منهج التربية الاسلامية

التربية الاسلامية

أهميتها .. أهدافها .. اتجاهاتها .. مناهجها ..

جاء الإسلام بمنهج كامل للحياة الإنسانية .. يحدد اطاراً واضحاً لشخصية الفرد وتكوين الأسرة وبناء المجتمع .

وكان الإنسان ـ الفرد ـ هو الخلية الأولى التي عني بها الاسلام ليكون على أساسها الأسرة الصالحة والمجتمع الراشد . من هنا كان للاسلام خطة واضحة في تربية هذا الفرد .. جسما وعقلا وروحا .. تربية متكاملة تنتج الشخصية الاسلامية الواضحة المعالم المعبرة عن مبادىء الاسلام وآدابه ومثله . لان تلقين الحقائق دون طبع الانسان بطابعها وتعويده على سلوك مسالكها لا يكون الفرد الصالح الذي يرضى عنه الاسلام ـ قال تعالى :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[1] .

يقول الشيخ محمد الغزالي : « حدد القرآن الكريم عمل النبي ﷺ بين الناس في ثلاثة عناصر متماسكة هي تلاوة القرآن والتزكية والتعليم . . .

العنصر الأول : تلاوة آيات الله .

العنصر الثاني : التزكية ، وهي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية ، بل تكاد التزكية والتربية تترادفـان في اصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الانسان الى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعوج .

العنصر الثالث : التعليم ، وتعني به الآية تنوير الذهن بما يفتقر إليه من هدايات كثيرة في عالم الغيب والشهادة أي في عالم المادة وما وراء المادة . والقرآن كتاب تضمن علوما انسانية شتى في العقائد والتشريع والتاريخ والأخلاق »[2] .

والعمل الذي قام به النبي ﷺ في فترة الدعوة المكية . . وفي الفترة المدنية هو التربية ، ربىّ أصحابه في فترة الدعوة السرية حتى اعدهم لتحمل مشقات الاضطهاد والعذاب الذي تعرضوا له بعد الجهر بالدعوة . . . ثم ربى اتباعه الذين آمنوا به منذ الجهر بالدعوة حتى الهجرة إلى المدينة . . وكان اولئك نواة المجتمع المسلم . وفي المدينة كان رسول الله ﷺ المربي والمعلم للمهاجرين والانصار . . كما قال عنه أحد أصحابه : ـ بأبي وأمي لم أر معلما أحسن منه .

وكان منهج التربية هو القرآن . . وكانت الاساليب هي القدوة العملية والحكمة والموعظة الحسنة ، والتعويد والرفق في التعليم والتوجيه وغير ذلك مما يتضح من النظر في سنة رسول الله ﷺ وسيرته وشمائله .

ولولا هذه التربية لما تحقق للاسلام وجود في هذه الدنيا ولما بقي نوره في هذا العالم . . ولما وصل الينا كاملا واضحاً كما وصل اذ كان المعلم والمربي ﷺ صورة

---

(١) سورة الجمعة ٢

(٢) نظرية التربية الاسلامية للفرد والمجتمع للشيخ محمد الغزالي ص ١ بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الاسلامية المنعقد بمكة المكرمة في جمادى الثانية ١٤٠٠هـ. شركة مكة للطباعة والنشر .

حية للمبادىء والمثل التي دعا اليها . . كما قالت عنه عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » . وكذلك كان أصحابه يقتدون به ويهتدون بهداه .

مفهوم التربية الإسلامية :

« ان التربية في مفهوم الاسلام هي انشاء الانسان انشاء مستمرا من الولادة حتى الوفاة . . هذا على الامتداد الافقي . . أما الامتداد الرأسي فهي تربية كاملة متوازنة ، عقلية بالمعرفة ، وجسمانية بالرياضة ، ونفسية بالايمان ، وهي جامعة من حيث أنها تغرس القيم الخلقية والاجتماعية التي تحمي الانسان من أخطار الاضطراب والتمزق تربي في الانسان الارادة الحقة حبا للناس وايثارا وبعدا من الانانية وتجنبا للرذائل .

فالتربية الاسلامية في طبيعتها ايجابية بناءة تقوم على مدافعة الاخطار لا الاستسلام ، وتستهدف المقاومة لكل محاولات هدم الشخصية لا التراخي والاباحية . . »[1] .

ويقول الاستاذ محمد قطب :

« تقوم التربية الاسلامية على أساس أن العبادة الصحيحة لله هي وسيلة تزكية النفس الانسانية التي يشير اليها القرآن الكريم ،﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وهي كذلك وسيلة التربية ، ذلك أن الهدف الاخير للتربية هو تزكية النفس ومن ثم كانت وسيلة التزكية هي ذاتها وسيلة التربية »[2] .

وقد يقع بعض الباحثين في خلط حين يتحدثون عن التعليم في الاسلام على أساس أن ذلك هو التربية الاسلامية . ومن أظهر الامثلة على ذلك كتاب الدكتور

---

(١) التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام للاستاذ أنور الجندي ص ١٦٠ الطبعة الأولى ١٩٧٥م دار الكتاب اللبناني - بيروت

(٢) النظرية التربوية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ص١ بحث مقدم إلى ندوة خبراء اسس التربية الاسلامية « مرجع سابق »

أحمد شلبي الذي سماه « التربية الاسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها » وحين نرجع إليه نجده استعراضا لتاريخ التعليم ونظمه في التاريخ الاسلامي حتى العصر الفاطمي . . وليس فيه أي عنصر من عناصر التربية الاسلامية المقصودة . . والعجيب أن الكتاب يفتتح في بابه الأول بالحديث عن « أمكنة التعليم » حتى دون مجرد تعريف للتربية الاسلامية وبيان مفهومها . . وفي الباب الثاني يتحدث عن المكتبات ، وفي الباب الثالث عن المدرسين وفي الباب الرابع عن التلاميذ ، وفي الباب الخامس عن رعاة العلم وفلسفة النظم بالمعاهد العلمية ، وفي الباب السادس عن نظم تعليمية جديدة بمصر في العهد الفاطمي . . وينتهي الكتاب عند ذلك .

والتعليم في الاسلام هو أحد وسائل التربية ، ولكن كتابا يحمل اسم التربية الاسلامية لا يجوز أن يغفل الحديث عن مفهوم التربية وغاياتها ووسائلها كما يراه الاسلام . . وكان بوسعه أن يسميه تاريخ التعليم في الاسلام حتى القرن الرابع الهجري .

وكذلك صنع بعض الباحثين الآخرين في حديثهم عن التعليم الاسلامي باسم التربية الاسلامية . . يقول الدكتور عبد الغني عبود :

« تقع معظم الدراسات التي تعرضت للتربية الاسلامية في خطأ جسيم حين تنظر إليها من خلال مؤسسات التعليم التي ظهرت في الاسلام ومناهج الدراسة وطرق التدريس وغيرها بمعزل عن الاطار النظري للتربية الاسلامية ، كما نراه من خلال كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة فالواقع الذي تتغافله هذه الدراسات هو أن التربية الاسلامية هي أيضا جهاز اجتماعي ، يعبر عن روح الفلسفة الاسلامية من جهة ، وهذا الجهاز هو الذي يحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى[١] » .

« لقد أتى الاسلام « بأيديولوجيا » معينة وتصورات للفرد والمجتمع تختلف قليلا أو كثيرا عن « الايديولوجيا » التي كانت سائدة قبله ، وانعكست هذه الايديولوجيا على التربية الإسلامية ، وبدون فهم هذه الايديولوجيا الإسلامية لايمكن فهم التربية الإسلامية »[٢] .

(١) في التربية الاسلامية للدكتور عبد الغني عبود ص ١٠٣ الطبعة الاولى ١٩٧٧ م دار الفكر العربي - القاهرة .

(٢) المرجع السباق ص ١٠٣ - ١٠٤

ومنهج التربية الاسلامية منهج منفرد . . « . . ومنذ اللحظة الاولى يحس الانسان بذلك التفرد . فبينما تلتقي مناهج التربية الارضية كلها تقريبا على هدف متشابه وان اختلفت في وسائل تحقيقه متأثرة بالبيئة والظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية . . الخ . . نجد الاسلام منذ البدء مفترقا عنها في هذا الهدف مغايراً لها في الاتجاه .

تلتقي مناهج التربية الأرضية على أن هدف التربية هو اعداد « المواطن الصالح » وتختلف الامم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته . . . أما الاسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة ولا يسعى لاعداد المواطن الصالح وانما يسعى لتحقيق هدف أكبر واشمل هو اعداد الانسان الصالح . . الانسان على اطلاقه ، بمعناه الانساني الشامل ، الانسان بجوهره الكامن في اعماقه ، الانسان من حيث هو انسان ، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان . . وذلك معنى أشمل ولا شك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين »[١] .

غاية التربية الاسلامية :

« غاية التربية الاسلامية هي تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الانسان ، على مستوى الفرد والجماعة والانسانية وقيام الانسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الاسلامية »[٢] .

في هذا الضوء يكون الهدف الأول والأساسي من التربية هو : . . .

« **بناء شخصية المسلم** » الذي سيبني المجتمع الاسلامي القوي الكريم القادر على مواجهة أخطار أعداء الاسلام والعامل على نشر كلمة الله في الأرض، فالشخصية المسلمة لها رسالة وعليها تبعة وهي تحمل التزامين أساسيين : الارادة الحرة القادرة ذات المسؤولية الفردية والجزاء الأخروي ، والالتزام الأخلاقي الذي

---

(١) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب الجزء الأول ص ١٣ .
(٢) من توصيات مؤتمر التعليم الاسلامي ص ٩٢ من كتاب المؤتمر مطابع الاهرام التجارية ١٩٧٨ م القاهرة .

يطبع كل التصرفات في كل الميادين والقطاعات والقيم ، وهو التزام قائم بالنسبة للسياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية جميعاً »[١] .

ويقول الاستاذ محمد قطب :

« العبادة الصحيحة لله هي توحيده سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه ، وذلك من الوجهة الدينية هو حق الله على العباد بما أنه هو خالقهم والههم وربهم ـ وذلك في الوقت نفسه من الوجهة التربوية ـ هو السبيل لاصلاح النفس البشرية وتزكيتها وهو الهدف الاخير من التربية الاسلامية »[٢] .

ويرى الدكتور محمود السيد سلطان أن « التربية في الاسلام هي الاجراء العملي والتطبيقي لتحقيق ذلك اللقاء الحي بين عالم المثاليات وعالم الواقع الاجتماعي للحياة البشرية »[٣] .

« والتربية بكل ما تستهدف أن تحققه في البشر ، وبكل مكوناتها وعناصرها وبكل محتوياتها وطرائقها، وبكل تنظيماتها وادارتها وتدريسها ومدرسيها ، إنما تجعل السلوك الانساني متمثلا ومستنبطا لكل هذه القيم والمبادىء ، ولكل الاجابات الحاسمة لقضايا الانسان الأساسية ولمسلمات الاسلام الرئيسية والفرعية المتعلقة بالجماعة الانسانية وبالكون وبالحياة وبما بعد الحياة وما وراء الطبيعة »[٤] .

الاطار العام للتربية الاسلامية :

للتربية الاسلامية سمات تتميز بها . . تنبع من طبيعة المنهج الاسلامي الذي تعبر عنه .

فأول سماتها : التكامل والشمول . . بمعنى أنها تتناول الانسان من كل

---

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام للاستاذ انور الجندي ص ١٥٤ م. سابق
(٢) النظرية التربوية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ص ٥ « مصدر سابق »
(٣) النظرية التربوية في الاسلام للدكتور محمود السيد سلطان ص ٢٧ من بحوث ندوة خبراء اسس التربية الاسلامية « مرجع سابق »
(٤) المرجع السابق ص ٢٦ ـ ٢٧

جوانبه : روحا وعقلا وجسما . . فردا . . ومنتمياً الى أسرة ومجتمع . . فتعده للحياة الاسلامية هذا الاعداد المتكامل الذي لا يعنى بجانب دون آخر . وقد رأينا من قبل أن الفلسفات التربوية الوضعية قديما وحديثا لم تستطع الوفاء بكل متطلبات الانسان الفطرية . . ولم تعن الا ببعض الجوانب على حساب الجوانب الأخرى أما الاسلام فليس فيه جانب من الحياة دون جانب . . ويعبر عن هذا التكامل قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾(١) .

ومن هنا فإن مناهج التربية الاسلامية تجمع بين الدين والدنيا وبين الجسد والروح والعقل في آن . . وفقاً لطبيعة الاسلام نفسه . . يقول الدكتور الاهواني عن التربية الاسلامية :

« لقد جمعت التربية الاسلامية منذ أول ظهور الاسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية ، دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر »(٢) .

ومن سمات هذه التربية أنها تتم بطواعية ، لاقترانها بالعقيدة واتصالها بالإيمان .

فطلب العلم مثلاً ـ وهو أحد وسائل التربية ـ يتم في المجتمع الاسلامي على أنه عبادة لها ثوابها الجزيل ، فقد أمر المسلم أن يبتغي العلم تقرباً إلى الله سبحانه ، كما قال تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾(٣) ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٤) وقال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ومن هنا فإن التعليم في إطار التربية الاسلامية يأتي رغبة لا قسراً ، ويتسابق إليه المسلمون على أنه طاعة لربهم وابتغاء لمثوبته . وهذا ما حدث في المجتمع الاسلامي ـ على امتداده ـ في

---

(١) سورة الانعام ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) الدكتور أحمد فؤاد الاهواني : التربية في الاسلام ص ٩ دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م.

(٣) سورة طه ١١٤

(٤) سورة فاطر ٢٨

العصور الاسلامية الزاهرة وخاصة في القرون الثلاثة الأولى . . إذ انتشرت المدارس والمعاهد في المساجد ودور العلم وفتحت المكتبات أبوابها وقامت أسواق الوراقين في كل بلد اسلامي تعكس النهضة العلمية الشاملة التي أحدثها الاسلام .

بل إن الأمية اختفت من بعض الأقطار الاسلامية كالأندلس في بعض العصور الزاهرة . . واتسع نطاق التعليم بين النساء في الأندلس حتى كان منهن من بلغن درجة الأستاذية للرجال من وراء الحجاب .

ومن سماتها أيضا : أنها تربية خلقية . . ترجع إلى مبادىء وقيم ولا تتبع المنفعة ولا تسلم بالأمر الواقع . . بل تسعى إلى الارتفاع بمستوى الفرد إلى المكانة الكريمة التي يريدها له الاسلام . .

نقرأ قوله تعالى في سورة لقمان ، في موعظة لقمان لابنه : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ، ثم إلي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون﴾ إلى أن يقول له ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾[١] .

فإننا نجد فيها عناصر التوجيه للناشئة . . بغرس العقيدة القويمة أولا . . ﴿ يا بني لا تشرك بالله ﴾ ومع هذا النهي عن الشرك بيان لسبب قبحه ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ فهو كذب وافتراء ، وهو جحود للحقيقة وكفر بنعمة الله .

ومع الوصية بالاحسان إلى الوالدين يأتي تعليل هذا الموقف ﴿ حملته أمه وهناً على وهن ﴾ فلا يجوز أن يكون العقوق جزاء هذه التضحية وهذا الاحتمال . . ثم تأتي العبادة التي تهذب النفس وتضيء القلب وتغرس في الانسان الخشية والتعظيم

(١) سورة لقمان آية ١٣ ـ ١٩

لله ﴿ يا بني أقم الصلاة ﴾ وبعدها يأتي التوجيه الخلقي العظيم ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ وإذا كان على هذا الشاب الصالح أن يأمر غيره بالمعروف وأن ينهاه عن المنكر . . فإنه يأمر نفسه وينهاها قبل ذلك . . وهو يحتمل نتيجة ما ينشأ عن هذا الأمر والنهي من ابتلاء ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

ومثل هذا الناشيء الذي تمكن الايمان من قلبه ، واصلحت العبادة أمره وعرف الاستقامة في سلوكه ، لا بد أن يدرك معنى التواضع وأن يصل إلى درجة التهذيب في معاملة الناس : ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

فهذا المنهج الخلقي القائم على العقيدة القويمة والأدب الحسن والاحساس بالمسؤولية الاجتماعية . . . لا يمكن أن تصل إلى مستواه تربية وضعية ، مهما اصطنعت من مقاييس التهذيب والنضج .

لأن الاسلام يعتمد على العقيدة في تأصيل قواعد التربية لتثمر ثمرتها ولتصبح خلقاً وسلوكاً لا يفارق الانسان . . وللنظر إلى هذا المنهج التربوي الخلقي المتمثل في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي . . « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » . . فإن قوله « اتق الله » يعني تأسيس الضمير الذي يحاسب الانسان ويراقبه من داخل نفسه ولا يحتاج معه إلى من يراقبه أو يلاحظه من غيره . . فهو يتقي الله سواء كان وحده أو مع الناس . . وسواء أمن العقاب أو خافه . . ومن هنا تتميز التربية الاسلامية بأنها تعتمد على بناء الانسان من داخله بناء خلقيا سليما ، ولا تقوم على مجرد التهذيب أمام الناس ، أو مجرد التعايش الاجتماعي . . وإنما يرجع المسلم في ذات نفسه إلى مبادىء خلقية يلتزم بها من الرحمة والعدل والأمانة والصدق والحلم وغير ذلك من أمهات الفضائل في الاسلام والتي ربطها الاسلام ربطاً وثيقاً بحقيقة الايمان .

فقد سئل رسول الله ﷺ : أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : لا . وهذا يعني سلب الايمان عن الكذاب .

أما في ضوء نظرية « جون ديوي » عن الاخلاق .. فإنه لا يرى ثباتاً للأخلاق .. ولا يرى أنها مما يجوز تلقينه للأطفال .. كما مرت الاشارة إليه في الفصل الثاني من هذا البحث .

وكذلك الأمانة فإن الاسلام يربطها بالايمان .. في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾(١) وقوله ﷺ : « لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ».

وكذلك الشأن في الحياء .. وهو يتعلق بسلوك الانسان الاجتماعي ، إذ يقول الرسول ﷺ : « الحياء والايمان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر ».

الصلة بين التربية والتعليم :

يربط الاسلام بين التربية والتعليم في مثل قوله تعالى ... : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ (٢). فالعلم في الاسلام ليس مقصوداً لذاته ، وإنما ليكون وسيلة للتقوى ، ولهذا نجد في التراث الاسلامي الكثير من التوجيهات التي تحدد لطالب العلم الهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه .

فالعلم في الاسلام فريضة ، كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »(٣) وروى البيهقي في شعب الايمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٤).

ولكن المفروض من العلم هو ما يحتاج إليه الانسان في أمر دينه ، فقد سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على النـاس ؟ فقال : لا ولكن يطلب من المرء ما ينتفع به في دينه(٥).

---

(١) سورة النساء ٥٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٣) رواه ابن ماجه وغيره . جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٧ المكتبة العلمية بالمدينة - دون تاريخ .

(٤) المصدر السابق ص ٨

(٥) المصدر السابق ص ٩، ١٠

وقد فصل ابن عبد البر ما يجب من العلم وجوبا عينيا على كل مسلم وهو ما يتعلق بأصول العقيدة والعبادة والخلق والحرام والحلال . . ثم قال :

« ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض كفاية يلزم الجميع فرضه ، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين ، لاخلاف بين العلماء في ذلك وحجتهم فيه قول الله عز وجل: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾(١) فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل ، ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم ، والطائفة في لسان العرب الواحد فما فوق ، وكذا الجهاد فرض على الكفاية »(٢) .

وبهذا يتضح أن العلم كله فرض . . ولكن منه ما هو فرض عين يجب على كل مسلم ، وهو علم أركان الدين وحقائقه . وعلم هو فرض كفاية على الجميع ، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين ، بل إن الامام الغزالي يجعل العلم بالصناعات والحرف والطب ونحو ذلك ـ مما يحتاج إليه المجتمع الاسلامي ـ من فروض الكفاية التي لا بد أن يوجد في المسلمين من يتقنها ليستغنوا عن أعدائهم . . ولتكون لهم القوة عليهم(٣) .

والذي يعنينا هنا أن العلم في الاسلام يرتبط بالعقيدة ويقوم على اثبات أدلتها . . وينظر إلى الكون والحياة من خلالها ، وأنه علم خلقي . . غايته الهداية ونفع الانسانية ولهذا كره علماء الاسلام الاشتغال بما لا نفع فيه ، أو بما يؤدي إلى الضرر . . استدلالا بقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾(٤) .

فلو طبق ذلك المنهج الاسلامي في هذا العصر المادي الظالم لما جاز تعلم صناعات الفتك والدمار التي تذيق الانسانية ألوان العذاب ، كالقنبلة الذرية

---

(١) سورة التوبة آية ٢٢٢
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مصدر سابق ص ١١
(٣) احياء علوم الدين كتاب العلم ـ ط التجارية بالقاهرة
(٤) سورة البقرة ١٠٢

والهيدروجينية وقنبلة النيترون وقنابل النابالم ونحو ذلك مما لا حاجة إليه في الدفاع المشروع ، ولكنه نوع من التهديد الذي يبث الرعب في قلوب الناس .

الرسول ﷺ يطلب العلم النافع :

وتأكيداً لهذا المعنى في الارتباط بين التربية الصالحة والعلم النافع ، فإننا نسوق الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع »(1) وعن أبي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأربع : من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع ». واخرج البيهقي في شعب الايمان وابن ماجه في سننه عن جابر أن النبي ﷺ قال : « سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع ».

وكون العلم لا ينفع قد ينشأ عن أمرين :

١ ـ كونه مؤديا إلى الضرر أو مبنيا على الخطأ .

٢ ـ عدم العمل به إذا كان علماً صحيحاً ، وقصر صاحبه في الالتزام بمقتضاه .

وإذن فالاسلام يرى أن تكون العلوم التي تقدم إلى الانسان الذي يراد تربيته في المجتمع الاسلامي علوماً نافعة في ذاتها . . ثم يفرض على الانسان أن يعمل بما علم . .وألا يتناقض سلوكه مع قوله . وقد ذم الله اليهود بأنهم حملوا التوراة ولم يعملوا بها ، فأشبهوا الحمار الذي يحمل أسفاراً فوق ظهره لا ينتفع بها ولا يعرف ما فيها ، مع ما يعانيه من مشقة في حملها . . قال سبحانه وتعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾(2) وهو تشبيه ينفر طالب العلم من أن يصبح تلك حاله .

وفي مناهج العلم المعاصر لا نجد مثل هذا الربط بين العلم والعمل . .

---

(١) رواه الحاكم مطولا عن ابن مسعود

(٢) سورة الجمعة آية ٥

فنجد الطبيب الذي يعلم أضرار التدخين وجنايته على الصحة واقعاً تحت سيطرة تلك العادة، دون أن يلتزم في عمله بما يعرفه من حقائق العلم . ولكن الاسلام يؤكد دائماً أن العلم إنما جعل للعمل . . ويعبر عن استنكار المفارقة بين العلم والعمل الأبيات المشهورة لأبي الأسود الدؤلي ـ الذي عاش في القرن الهجري الأول ـ:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا نصحا وأنت من الرشاد عديم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويشتفي بالقول منك وينفع التعليم

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله عزوجل :﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ قال : قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه إلى غيره [١] .

العلم في الاسلام ملازم للانسان :

يتقن المتعلم المسلم ما يتعلمه ، حتى يصير ملازماً له لا يغيب عنه فلا يحتاج إلى كثرة الرجوع إلى الكتب والأوراق ، بل يستحضره غالباً في ذاكرته . . كما قال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾[٢] .

وقد روي عن الأصمعي أنه قال : سمع يونس بن حبيب رجلاً ينشد :

استودع العلم قرطاساً فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس : قاتله الله . ما أشد صيانته للعلم وصيانته للحفظ ! إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك[٣] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٦ لابن عبد البر « مرجع سابق »
(٢) سورة الأعلى، آية ٦ ـ ٧ .
(٣) جامع بيان العلم ص ٦٨ « مرجع سابق »

وقال الخليل بن أحمد :

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

وقال محمد بن بشير :

إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع
أأحضر بالجهل في مجلس وعلمي في الكتب مستودع

وليس المقصود من ذلك هو الاستظهار ، وإنما المقصود هو أن يصل الانسان في فهمه لما يتعلمه إلى درجة الاتقان والمعرفة الكاملة والخبرة الصحيحة .. حتى لايحتاج دائماً إلى فتح الكتب والمراجعة فيها .

ولا نريد هنا أن نفصل كل مناهج التربية الاسلامية ، فلهذا الموضوع بحوثه المتخصصة ، وإنما نهدف في هذا البحث إلى جلاء ملامح الأصالة والتميز في التربية الاسلامية ، حتى لا يندفع المسلمون في هذا العصر وراء التقليد لمناهج الغرب التربوية ، مع أن ما بأيديهم خير لهم وأشبه بنمط حياتهم وميراث سلوكهم وأخلاقهم .

وحسبنا أن نشير إلى نجاح التربية الاسلامية في أنها حولت العرب من أمة أمية . . إلى أمة ذات رسالة انتشر فيها العلم . . الذي قام أساسه على معرفة حقائق الدين والنظر في حقائق الكون . . وما هي إلا سنوات معدودات حتى اتسعت حلقات العلم ومعاهده . . وانتشرت القراءة والكتابة في كل انحاء المجتمع الاسلامي . . ووضعت أسس العلوم الدينية واللغوية والتجريبية والنظرية .

وبما أن الحكمة ضالة المؤمن كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد اتجه المسلمون إلى تراث الانسانية من قبلهم ينقلون عنه ويفيدون منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فكانت النهضة العلمية الرائعة التي أدركها العرب ثمرة من ثمرات التربية الاسلامية التي بدلت نظرتهم إلى الحياة ، ووصلتهم بحقائق الكون . . وأبعدتهم عن الأساطير والخرافات والأوهام .

المنهج العلمي في الإسلام :

إذا كان الغرب يعتقد أنه واضع أسس المنهج العلمي التجريبي فهو واهم في ذلك لأن الإسلام في الحقيقة هو الذي دعا إلى البحث عن الدليل وابتغاء البرهان . . والبعد عن الظنون والأوهام . يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الاحقاف :

﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[(١)]

وقد ذم الله المشركين لأنهم كانوا يعتمدون على الظنون والتصورات الباطلة، وذلك في قوله سبحانه . . ﴿ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[(٢)] .

ويقول الرسول ﷺ : « اياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » .

ومن هنا فإن المنهج الاسلامي في التعليم يقوم على البحث عن الحقيقة بأدلتها . . وقد صرح علماء الاسلام في العقيدة بأن المعرفة شرط في صحة العقيدة ، وأن ايمان المقلد الذي لا يعرف كيف يستدل على صحة عقيدته ـ غير مقبول ـ وان جاز التقليد في الفروع الفقهية ، فإنه لا يجوز في أمور العقيدة التي هي أساس الإسلام .

كما قال البغدادي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة . . . . : « ان أصل الايمان المعرفة والتصديق بالقلب »[(٣)] وكفى بذلك شرفاً للعلم والمعرفة .

---

(١) سورة الاحقاف آية ٣ .

(٢) سورة النجم آية ٢٣

(٣) الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩ هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٣٥١ . ط محمد علي صبيح القاهرة بدون تاريخ .

الفصل الخامس

دور النظرية التربوية الاسلامية

١ - اعداد الانسان المسلم
٢ - اعداد المجتمع المسلم
٣ - دور المؤسسات التربوية الاسلامية
٤ - دور وسائل الاعلام في الفرد والمجتمع

الفصل الخامس

دور النظرية التربوية الاسلامية

الفرد هو الخلية الأولى في بناء الاسرة . . والأسرة هي الخلية في بناء المجتمع . . ومن هنا كانت عناية التربية الاسلامية باعداد الفرد للقيام برسالته في المجتمع المسلم . . ولأداء واجبه في الحياة الانسانية عامة .

المسؤولية الفردية :

يحدد الاسلام لكل فرد مسؤوليته، ويكلفه بأن يكون قواما على نفسه بالحق . . يقول تعالى : ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾(١) .

ومن هنا فإن على الانسان المسلم أن يطلب العلم والهداية لنفسه وأن يحرص عليها ، وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول﴿ ربِّ زدني علماً ﴾(٢) .

كما أن تطهير النفس وتزكيتها هو مسؤولية الانسان نفسه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾(٣) .

---

(١) سورة الاسراء ١٣ - ١٥

(٢) سورة طه ١١٤

(٣) سورة الشمس ١٠٧

وليس هناك أفضل من سعي الانسان بنفسه ليصل بها إلى مراقي الكمال فذلك أجدر أن يجعل سعيه حثيثاً ، وأن يؤكد اصراره على بلوغ الهدف .

مناهج التربية الاسلامية في اعداد الفرد :

يضع الاسلام مناهج لتربية الفرد تبدأ قبل وجود هذا الفرد وذلك باختيار والديه . . من الصالحين والصالحات . يقول الله سبحانه ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾[1] .

ويقول عز وجل : ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾[2] .

وبهذا يتهيأ للطفل المسلم الاسرة الصالحة التي توجهه إلى الخير وتدله على الطريق المستقيم .

ولهذا يرشدنا رسول الله ﷺ إلى أثر الوالدين في أطفالهما بقوله : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[3] .

وهذه الفطرة ليست كالنزعة الطبيعية التي نادى بها روسو في كتابه « اميل » والتي سبقت الاشارة إليها في الفصل الثاني من هذا البحث ـ لأن روسو يعني بالطبيعة الغرائز والنزعات الفطرية في الاستجابة لها . . ولا يعني فطرة الايمان والتوحيد .

ثم يدعو الاسلام الوالدين إلى العناية بأولادهما ورعايتهم في مرحلة الطفولة بكل ألوان الرعاية . . الجسمية والنفسية . . يقول ﷺ:« كفى بالمرء اثما أن يضيع من يفوت »[4] ويقول أيضاً . . : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »[5] .

---

(١) سورة النور ٣٢
(٢) سورة البقرة ٢٢١
(٣) رواه البخاري
(٤) أخرجه ابو داود في كتاب الزكاة ، وأحمد في سنده ١٦٠/٢
(٥) اخرجه ابن ماجه

وحين يصل الطفل إلى سن الادراك والملاحظة . . تأتي مرحلة القدوة من الوالدين . . يقول الاستاذ محمد قطب :

« وحين يتكون مجتمع اسلامي فإنه يشرب أطفاله مبادىء الاسلام عن طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الاسرة والوالدين . ان الولد الذي يرى والده يكذب . . لا يمكن أن يتعلمْ الصدق . والولد الذي يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه . . لا يمكن أن يتعلم الامانة . . . والاسرة هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذوره ويكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه . ومن ثم ينبغي أن تكون الأسرة نظيفة ، أسرة مسلمة ، حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادىء الاسلام يأخذها بالقدوة المباشرة . . المنقولة عن قدوة الرسول .

وينبغي أيضاً بالاضافة إلى ذلك أن تكون سيرة الرسول جزءاً دائماً من منهج التربية ، سواء في المنزل ، أو المدرسة أو الكتاب ، أو الصحيفة أو المذياع ، لتكون القدوة دائمة حية وشاخصة في المشاعر والأفكار »[1] .

ويرى الاستاذ محمد قطب أن القدوة الصالحة لا تغني وحدها بل لا بد معها من التلقين . . « ولو كانت القدوة تكفي وحدها لاتمام عملية التربية والوفاء بكل المطلوب فيها لكانت القدوة العظمى للبشرية كلها ممثلة في شخص رسول الله ﷺ ، كافية وحدها لاقامة منهج التربية الاسلامية ، ولكن هذه القدوة على ضخامتها التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كله حتى على مستوى الانبياء والرسل ، كانت تلجأ إلى التلقين والتوجيه ، فضلاً عن الكتاب المنزل ، وهو كله من أوله إلى آخره تلقين وتوجيه » . إلى أن يقول :

« إن التلقين عنصر عظيم الخطر في ذاته وضرورة لا غنى عنها على الاطلاق لكل الناس في كل الأعمار ، وللاطفال بصفة خاصة ، الذين لا تتسع مداركهم ليفهموا ـ تلقائياً ـ حكمة كل تصرف يقوم به الكبار فيلزم تلقينهم اياها ، والذين تختلف دوافعهم عن دوافع الكبار ، وقدرتهم على الضبط عن قدرة الكبار فيعجزهم ذلك عن أخذ القدوة في بعض الأمور ، فيلزمهم التلقين »[2] .

---

(١) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ١ / ١٨٦ ـ ١٨٧ الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ دار الشروق .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣

ثم يرد الاستاذ محمد قطب على بعض النظريات الحديثة التي تحذر من فرض الأوامر فرضاً على الطفل دون اقتناع منه بأدائها لأن ذلك يولد في نفسه كبتاً ويفسد شخصيته . . فيقول :

« أما العلم فلا بأس أن يعلم الطفل حكمة أي تصرف أو سببه . وأما تعليق تنفيذه للأمر على اقتناعه هو الشخصي بصواب ذلك الأمر ، فمفسدة للطفل أي مفسدة ، فضلاً على مجافاته لأبسط مقتضيات المنطق السليم .

وإلا فما العمل حين تكون خبرة الأرض كلها قد استقرت على أمر معين ؟ ولكن الطفل غير مقتنع به لأن خبرته المحدودة تعجز عن ادراك الحكمة فيه »(١)) .

وفي رأيي أنه يمكن التوفيق بين الاتجاهين . . اتجاه التلقين ونقل الخبرات من المربي إلى الطفل . . واتجاه الاقناع الذي يستلزم حكمة المربي وذكاءه في التبصير والتعليم . وفي الحقيقة ان التلقين إذا كان معتمداً على التخويف والوعيد . . فإنه لا يلبث أن يزول أثره حين يكبر الطفل ويملك حرية التصرف . . أما إذا كان قائماً على الاقتناع والرغبة فإنه يظل عميق الأثر في كل مراحل العمر .

فالطفل إذا لم يتعلم معنى الصلاة بحب وشوق ورغبة ، وإذا لم يدرك فائدتها له في حياته الشخصية . . فإنه لا يلبث أن يتركها إذا كان وحده ـ أو إذا لم يجد رقابة عليه . . أما إذا كان مقتنعاً بها مدركاً لفوائدها وآثارها فإنه يحرص عليها أشد الحرص سواء كان مع الناس أو كان وحده . . حتى إذا كان يعيش وحده في رأس جبل .

كما جاء في الحديث الشريف التنويه بهذا الاقتناع الذي يجعل الانسان يراقب ربه ويخشاه ، مع عدم اطلاع الناس عليه . . فقد جاء في وصف السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله . . . : « شاب نشأ في عبادة ربه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدمع . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله » .

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٣

فالربط بين هذه النماذج الانسانية جميعاً من أجل الاقتناع الداخلي . . ورقابة النفس على النفس . . فالشاب الذي نشأ في عبادة ربه . . يندفع إلى تلك العبادة من تلقاء نفسه . . وبمقتضى ايمانه واقتناعه بها . . وإلا لتركها حين لا يكون عليه رقيب من الناس . والرجل الذي ذكر الله خالياً ـ في مكان ليس فيه أحد ـ فخشع قلبه وفاضت عيناه من الدمع ، قد سيطر الايمان على قلبه . . فحرك مشاعره . . والرجل الذي يخفي صدقته عن الناس قد تخلص تماماً من كل مظاهر الرياء والسمعة وزهد في ثناء الناس عليه ، اقتناعاً بمعنى الاخلاص . والرجل الذي امتنع عن اجابة داعي الاثم وقال : اني اخاف الله . . مقتنع من ذاته بوجوب الاستقامة والبعد عن الفاحشة . . وهكذا . . .

ومجمل القول ، اني أرى أن التلقين والتذكير ينبغي أن يقترن بالاقتناع والتبصير . . بحيث نتبع منهج القرآن في بيان الحقائق مقرونة بأدلتها . . قال تعالى : ﴿وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ولا تقربوا الـزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾[2] . . وقال سبحانه : ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[3] . . وقال سبحانه : ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[4] .

وهكذا نرى التوجيه القرآني يقترن كثيراً بذكر الحكمة والمغزى وبيان العاقبة التي يـؤول اليها العمل ، خيراً كان أو شراً .

ومن هنا فلا أرى الاقتصار على التلقين والقسر في التوجيه ، اعتماداً على أن ذلك أمر الدين وكفى ، بل لا بد أن نشرح للطفل ـ على قدر استعداده ـ الحكمة من هذا التوجيه . . وأن نبين له بما يناسب مرحلة عمره العاقبة والثمرة لكل عمل نأمره به أو ننهاه عنه . . ويمكن أن يكون ذلك عن طريق القصص المصورة للمسالك الانسانية المختلفة .

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥
(٢) سورة الاسراء آية ٣٢
(٣) سورة لقمان آية ١٩
(٤) سورة الاسراء آية ٣٧

ثم يوجه الاسلام الفرد إلى طلب العلم .. بالقدر المفروض الذي سبقت إليه الاشارة في الفصل الرابع من هذا البحث ـ وهو ما تصح به العقيدة والعبادة والخلق والمعاملات .. ومن اجل ذلك فلا بد أن يتخذ الناشىء المسلم العدة لتحصيل هذه المعارف ، وذلك بتعلم القرآن قدر طاقته ومبادىء الفقه والتوحيد والأخلاق والمعاملات ... والقراءة والكتابة هي الوسيلة الفعالة التي تمكنه من هذه المعرفة .

وقد كان أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾[1] . كما جاء في القرآن الاشادة بالقلم والكتابة في قوله تعالى ﴿ن . والقلم وما يسطرون﴾[2] .

كما جاء الأمر بكتابة الدين في قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾[3] وهذا يستلزم أن يكون في المسلمين من يحسنون الكتابة والقراءة وفي الواقع العملي في التاريخ الاسلامي حوربت الامية وانتشر التعليم وقامت معاهدة أسرع ما يكون[4].

والمهم أن حظ التعليم مكفول للفرد في ظلال التربية الاسلامية فأمكنة التعليم في الاسلام منتشرة في المساجد والبيوت والمكتبات والمجالس فضلاً عن المدارس والمعاهد .. وليس في الإسلام سن معين ينتهي عنده طلب العلم ، بل لايزال المسلم يتزود من العلم طول عمره ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، تأسيساً بقوله تعالى : ﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾[5] .

بل أن القرآن يذكر أن موسى عليه السلام ـ وهو كليم الله ـ لم يستكبر أن يبتغي العلم عند العبد الصالح : ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما

(١) سورة العلق آية ١ ـ ٥
(٢) سورة القلم
(٣) سورة البقرة ٢٨٢
(٤) تفصيل ذلك في التربية الاسلامية للدكتور أحمد شلبي الباب الأول ـ أمكنة التعليم .
(٥) سورة طه ١١٤

علمت رشداً ، قال إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾(١) . . ومعنى ذلك في التوجيه الاسلامي القرآني أن نبياً من أنبياء الله قد أصبح طالب علم - لدى من هو أقل منه درجة ، لكنه فضل عليه بنوع من المعرفة . . . فأراد موسى أن يحصل ما لدى الخضر من هذه المعرفة ، ووعده بالصبر وطاعة الأمر .

ولسنا بحاجة إلى التذكير بسعة أفق العلم في الاسلام . . وأنه لا يقتصر على العلوم الدينية واللغوية وحدها . . بل يطلق للمسلم الحرية في تعلم كل ما هو نافع ، وفي الحصول على ما لدى الأمم الأخرى من تجارب ومعارف فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن اين وجدها فهو أحق بها كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وفي التربية الاسلامية تنمى مواهب الفرد واستعداداته لتخدم غاية الوجود الانساني كما حددها الله خالق الانسان : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾(٢) على المعنى الواسع الشامل للعبادة الذي لا ينحصر في شعائر التعبد كما صار في حس الأجيال المتأخرة من المسلمين . إنما يشمل الحياة كلها بكل فكرها وشعورها وسلوكها كما فهمت الاجيال الأولى من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، من توجيهات القرآن وتوجيهات الرسول ﷺ :﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له . .﴾(٣) .

فهي تشمل الخلافة في الأرض ، وتشمل عمارة الأرض ولكن على منهج الله . ليست العمارة المادية وحدها هي المطلوبة من الانسان ليحقق وجوده الصحيح في الارض ، إنما هي العمارة على أساس من القيم والمبادىء التي تليق بالانسان ، على أساس إقامة الحق والعدل الربانيين في واقع الأرض ، ومن ثم يكون المتاع محكوما بمعيار الحق والباطل ، الحلال والحرام ، الذي هو معيار الدنيا والآخرة في ذات الوقت .

---

(١) سورة الكهف ٦٦ - ٦٩

(٢) سورة الذاريات ٥٦

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

وفي خدمة هذا المنهج الواضح المفصل في الكتاب والسنة تنمى المواهب والاستعدادات في منهج التربية الاسلامية ، فتكون ذات أهداف خير واضح ، وتكون في خدمة الله ، لا في خدمة الشيطان[1].

صورة الانسان الذي تنشئه التربية الاسلامية :

« أي صورة من تلك التي تطالعنا بعد هذا الجهد الذي نبذله في التربية على منهج الاسلام ؟.

أي انسان هو الذي ربينا له روحه وعقله وجسمه على هذا النحو ووقعنا على الخطوط المتقابلة في نفسه ، وربيناه بالقدوة ، وربيناه بالموعظة وربيناه بالقصة ، وربيناه بالعادة ، وربيناه بالأحداث ؟

نقول : انه « الانسان الصالح » فما صورة ذلك الانسان الصورة التي يمكن أن نمسك خطوطها ونتبع ملامحها ، ونعرضها نموذجا للاقتداء ؟ »[2].

ويوضح الاستاذ محمد قطب ملامح صورة هذا الانسان الصالح الذي تنشئه التربية الاسلامية الصحيحة . . فهو :

* انسان عابد ، والعبادة هي منهاج حياته كلها . . .
* تظهر ملامح التقوى والخشوع والحياء على وجهه . . .

ولكن لا يخدعك هدوؤه ذلك ورقته واستحياؤه فتظن به الضعف ، إنه لايضعف ولا يخشع ولا يحني هامته إلى الأرض ساجدا إلا لله وحده لا شريك له ، أما ماعدا ذلك فهو قوي قوي ، صلب العود شديد المراس متين[3] .

المؤمن قوي في كل حالاته ، مستعل في كل حالاته ، ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ وتلك سمة من سماته[4].

(١) منهج التربية الاسلامية للاستاذ / محمد قطب ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢ (مرجع سابق) .
(٢) منهج التربية الاسلامية ٢٢٣/١ للاستاذ محمد قطب « مرجع سابق »
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤
(٤) المرجع السابق ص ٢٢٥

« والحب . . القدرة على الحب . . سمة بارزة من سمات الانسان الصالح المؤمن ، بل هو انسان بمقدار ما يقدر عليه سن الحب : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . الحب الخالص الذي لا ينتظر جزاء ولا شكورا ولا يهدف إلا لكسب الحب في الله[1] » .

« وهو شخص متوازن ، تلمح الاعتدال في سلوكه وفي فكره وفي شعوره ، متوازن لأن طاقته كلها تعمل ، وتأخذ نصيبها من الحياة لا تستطيره كل نظرية جديدة يسمعها ، حتى يزنها بميزانه ، ويتثبت مما فيها من الحق »[2] .

ويمضي الاستاذ محمد قطب في تعداد السمات والملامح التي نتبينها في الفرد الذي تعده التربية الاسلامية . . فنجد من بينها : أنه قوة فاعلة في واقع الأرض . . ويقتضي ذلك أن يكون استقلالي النزعة ومع ذلك فهو اجتماعي إلى أبعد الحدود .

وهو أيضا : شخص نظيف . . حساس للجمال . . ولكن على نظافة واعتدال . « وفي الجملة هو انسان يعيش بأقصى طاقته في عالم الواقع ويحاول في الوقت ذاته أن يحقق المثال ، ولا انفصال في نفسه ولا في عالمه بين الواقع والمثال . . »[3] .

وهكذا ، فإن التربية الاسلامية . . عقيدة وعبادة وخلقا وعلما وتوجيها اجتماعيا تعمل عملها في تكوين الفرد الصالح الذي يسعد نفسه وأسرته ومجتمعه ويؤدي دوره في الحياة . بينما رأينا من قبل أن غايات التربية في النظم اليونانية والاوروبية والامريكية محدودة المدى . . مرتبطة بالعنصرية والطبقية . . أو بالواقع المادي المتغير . . ولا ترتبط بقيمة ثابتة ولا بمثل أعلى أو مبدأ انساني يتسع للانسانية كلها .

دور التربية الاسلامية في تكوين المجتمع المسلم :

مادام الفرد هو نواة الاسرة . . والاسرة هي نواة المجتمع . . فإن النجاح في

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٩

(٣) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ١/ ٢٣٤ « مرجع سابق ».

اعداد الفرد الصالح يؤدي إلى النجاح في تكوين المجتمع الصالح .

« واجتماعية التربية إذ تتحقق لها من خلال تمثلها لأهداف المجتمع ولثقافته واعدادها لقواه البشرية التي ستتولى أدوار الحياة الاجتماعية المختلفة في نظمه الاجتماعية المتعددة ، فإنها في تمثلها لثقافة المجتمع وأهدافه ، واعدادها لقواه البشرية إنما تنسج أهدافها ومناهجها وطرائقها في إطار مجموعة من القيم الاخلاقية ، وأي قيم أثرى وأغنى وأصلح من القيم الاسلامية ؟.

ومن هنا نلاحظ أن الاسلام يمكنه أن يعطي التربية عطاء كبيرا يتحقق لها به خلقيتها وفقا لقيمه الخلقية ، واجتماعيتها وفقا لقيمه الاجتماعية . كما أن التربية يمكنها أن تعطي الاسلام عطاء كبيرا في المقابل بما تحققه من بناء لقيمه في أجيال المجتمع ، فإن تجسيدا واقعيا لهذه القيم سيشق طريقه في عناصر هذه النظم ، ابتداء بأهداف هذه النظم ، واستمرارا بالعنصر المادي والبشري والتنظيم الاداري والقيم الاجتماعية فيها »[1] .

ونحن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة فإننا نجد ملامح التربية الاجتماعية واضحة ومتميزة .

فقد حدد القرآن العلاقات بين أفراد المجتمع . . ووضع لها القواعد المحكمة التي تؤدي إلى استقرار المجتمع وأمنه وطمأنينته .

يقول الله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[2] .

ويقول سبحانه : ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون﴾[3] .

ويقول سبحانه : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا

(١) بحوث في التربية الاسلامية للدكتور محمود السيد سلطان ص ٨٥ دار المعارف ـ القاهرة .
(٢) سورة النساء آية ٥٨
(٣) سورة البقرة آية ١٨٨

تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه . واتقوا الله إن الله تواب رحيم »[1] .

ويمكننا أن نقول : إن كل الاداب والاخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة اجتماعية واضحة ، وأن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الاسلامي على أساس مبادىء العدل والمساواة والحق التي جاء بها الاسلام .

إن المسلم الحق لا يعيش مشغولا بذاته ، منعزلا عن الناس والحياة، بل يمد يده بالخير والعون ويعطي الحياة ما يزيدها أمنا وسلاما ، لأنه يفهم معنى الانسانية ويدرك مسؤوليات الأخوة في المجتمع الذي يحيا فيه : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[2].

والمسلم يعلم أن كيان المجتمع الاسلامي يقوم على أساس أن أفراده وحدة واحدة تتضامن في مواجهة الحياة وتتعاون في حمل أعبائها ويساند بعضهم بعضا أمام الأزمات والخطوب . . ولذلك يجعل الاسلام من المسلمين جسما واحدا يشعر بشعور واحد ويقف في الحياة موقفا متساندا . يقول الله سبحانه : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . . ﴾[3] ﴿انما المؤمنون اخوة﴾[4].

ولذلك فهم شركاء في التبعة ، لا يتصدعون ولا ينعزلون ، ولا يتخلى بعضهم عن بعض ، كما يقول الرسول صلوات الله عليه : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا »[5].

وهو تجسيم معبر عن الحقيقة ، فإن متانة الرابطة بين المسلمين تجعل أيديهم

(١) سورة الحجرات آية ١١ - ١٢ .
(٢) سورة المائدة آية ٢
(٣) سورة التوبة آية ٧١
(٤) سورة الحجرات آية ١٠
(٥) رواه البخاري

متعاونة ووجوههم متقابلة لا يرضى أحدهم بخذلان أخيه ولا تقر عينه بما يؤذيه ، بل لا يرضى له إلا ما يرضاه لنفسه ، وذلك هو مغزى تشبيه العلاقة بين المسلمين بعلاقة أعضاء الجسد ببعض في قول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »(١).

وهذا أقصى ما يبلغه مجتمع من الترابط والتساند ، بل هو أمثل حد يمكن أن تصل إليه الانسانية في تكاتفها وتضامنها وتعاونها ، وهو ما يصل إليه المسلم عن طريق العقيدة وعلى أساس الأخوة .

ولذلك فإن المسلم يلتزم بحقوق الأخوة ويبذل من العون ما يستطيع بمقتضى قبوله لتلك العلاقة ، ويعلم أنها دين يحاسب عليه وأمانة لابد من أدائها . . وأمامه قول الرسول صلوات الله عليه : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »(٢). . وهو يجد راحة نفسه في تفريج الكرب وتخفيف الضوائق وحل المشكلات وهو يعلم أنه يعمل بذلك لنفسه ويمهد لها ويخفف عنها في يوم الحساب .

أما ستر العورات فهو غاية رفيعة من غايات الانسانية التي يصل إليها المسلم حين يألف الخير وتسخو يداه ببذل العون وإشاعة الرحمة بين العباد . وهو يعلم أن ذلك محك الايمان وموطن الصدق واليقين ، وهو المقياس الحق الذي لا يكذب حين يقوم على الايمان ويصدر عن بواعثه : ﴿ فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾(٣) .

أما الاشتغال بالشعائر والتظاهر بالتقوى ، مع الضن بالعون وحجب الخير

(١) رواه البخاري
(٢) رواه البخاري وابو داود .
(٣) سورة البلد آية ١١ - ١٨

عن الناس فهو دليل على وهن الايمان وكذب الادعاء وضلال القصد مما يورد صاحبه الهلاك : ﴿فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾ (١).

وهكذا يضع المسلم غايات الاسلام مواضعها ويتجه إلى طريق الرحمة التي أرادها الله لعباده ، وجعلها مسؤولية من مسؤوليات الايمان(٢) .

ومن التربية الاجتماعية في الاسلام مطالبة كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حفاظا على قيم المجتمع المسلم ومبادئه أن تضيع .

يقول الشيخ محمد الشاذلي النيفر :

« وقد نبهنا الكتاب الكريم إلى التربية الاسلامية الصحيحة المؤسسة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صور مختلفة تعطي المعنى المراد بأوجه كثيرة كما جاء في آيات متعددة من سور عديدة .

وتتجلى قيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أنها برزت في خصوصيات الرسالة الاسلامية المحمدية التي جاءت في وصف رسول الله ﷺ كما جاء في وصفه في التوراة والانجيل فنعوته ﷺ منها : انه أثبتت رسالته في التوراة والانجيل ، ومنها أنه نبي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . قال تعالى : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ سورة الاعراف آية ١٥٦ .

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم﴾ . سورة الأعراف آية ١٥٧ .

أوصاف النبي ﷺ حسبما تلاها الله علينا ـ تسعة ـ وهي الأوصاف التي وصفه

---

(١) سورة الماعون ٤ ـ ٧

(٢) شخصية المسلم كما يصورها القرآن للدكتور مصطفى عبد الواحد ص ١٦٨ ـ ١٧٠ الطبعة الرابعة مكتبة المتنبي القاهرة .

بها تعالى ومنها أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر [١] .

إن التربية الاسلامية تغرس الروح الجماعية في قلب الفرد المسلم . . . :
« والحب هو الرباط الحي الذي يربط الجماعة . . يشدها كالبنيان المرصوص فإذا كل لبنة قائمة بذاتها قوية الوجود . . ثم إذا البناء كله جماعة . . ليست فيه لبنة ناشزة خارجة عن الحدود .

وبهذا الحب الذي يبثه الاسلام ويغذيه قام المجتمع الاسلامي الأول الفريد في كل التاريخ . مجتمع لا من الاصفار المتذاوبي الكيان . . مجتمع كل فرد فيه أمة ، وهو على ضخامة شخصياته وإيجابيتها العجيبة الفذة متحاب مترابط لا تكاد تحس أين يبتدىء كيان كل واحد منهم وأين ينتهي الآخر ؟ . لأن الحب قد أزال الحدود .

والقرآن يغذي هذه الجماعة بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾[٢] .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[٣] ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾[٤] . . . ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٥] . ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾[٦] .

كما يغذيها بالخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعية التي تلقي المسؤولية على الجماعة كلها متساندة لانها ـ في الواقع ـ مسؤولية كل فرد ومسؤولية الجميع . .

---

(١) اسس التربية الاجتماعية في الاسلام للشيخ محمد الشاذلي النيفر ص٩ ـ ١٠ من بحوث ندوة خبراء اسس التربية الاسلامية ـ مرجع سابق .

(٢) سورة المائدة اية ٢

(٣) سورة آل عمران ١٠٣

(٤) سورة التوبة ٧١

(٥) سورة الفتح ٢٩

(٦) سورة الشورى ٣٨

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1]

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ، ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾ المجادلة[2].

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ الانفال **٢٥** .
﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ التوبة **١٢٣** .
﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ﴾ محمد ٧ .
﴿ يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ الحجرات ٦ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ﴾ .

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الاسلام ذاتها تقتضي وجود جماعة متكاملة تقوم بالتكاليف الجماعية ، كما أن التصور الاسلامي والفضائل الاسلامية تحتاج إلى جماعة ، إلى وسط تحيا فيه وتنمو ، إلى محضن يتلقف الأجيال الناشئة فينشئها على تلك الفضائل ويطبعها على ذلك التصور ، وتلك كلها مهام لا يقوم بها الافراد متفرقين والا ضاع جهدهم بددا ولم يثمر ثماره المرجوة وإنما تقوم به الجماعة مجتمعة فتصبح المهمة أيسر والثمرة اقرب إلى المنال .

وهكذا تتحد الجماعة في الهدف وتتحد في العمل ، فتلتقي قلوبهم وتتعاون ، وترتبط كلها بالله في النهاية فلا يقوم بينها الشقاق والخصام وتلتقي النزعة الفردية والنزعة الجماعية كلتاهما في نظام »[2].

وإذا كانت التربية الاسلامية ـ حين تطبق مناهجها بحق ـ تؤدي إلى إقامة

---

(١) آل عمران ١١٠

(٢) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ١٦٨/١ « مرجع سابق »

المجتمع المسلم ، فإن هذا المجتمع أيضاً هو الذي يصون منهج التربية الاسلامية ، ويمكنها من أداء دورها في حياة الأمة الاسلامية . . فكلاهما شرط لا بد منه للآخر .

يقول الاستاذ محمد قطب :

« من البديهيات المقررة في منهج التربية الاسلامية أن يكون هناك مجتمع مسلم ، فكل الجهود المضنية التي تبذل في التربية عرضة لأن تذهب كلها ضياعا حين لا يوجد هذا المجتمع ، أو حين يوجد مجتمع يعادي الفكرة ويعمل على تحطيمها .

وصحيح أن تكوين المجتمع المسلم هو الهدف الأخير من التربية الاسلامية ، ولكنه في الوقت ذاته هو الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الاسلامية وتنشئة الأفراد عليها منذ نعومة أظفارهم حتى ينطبعوا بانطباعها ، ويكونوا صدى ذاتياً للتفاعل معها والتشرب بها .

وهذا التداخل بين الأهداف والوسائل هو ذاته التداخل بين الفرد والمجتمع وبين الجيل والأجيال ، لا تستطيع في أية لحظة أن ترسم حداً فاصلاً بين جيل وجيل ، ولا بين فرد والمجتمع الذي يعيش فيه هذا الفرد ، ولا بين وسيلة من الوسائل والهدف الذي تؤدي إليه هذه الوسيلة »[١] .

ولا بد أن نشير هنا إلى المغزى الاجتماعي للعبادات في الاسلام فالصلاة ترتفع درجاتها ويعظم ثوابها حين تؤدى جماعة كما جاء في الحديث الشريف : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ - أي الفرد - بسبع وعشرين درجة »[٢] . والجمعة فريضة أسبوعية تؤدي إلى تعارف المسلمين وتعاونهم في أمور دينهم ودنياهم . . والزكاة عبادة اجتماعية تؤدي إلى التراحم بين الأغنياء والفقراء والتكافل الاجتماعي بين القادرين والمعدمين ، والصيام له وقت معين يشترك فيه المسلمون جميعا فتتوحد قلوبهم ومشاعرهم . والحج تجمع سنوي يشترك فيه

---

(١) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٢١٦/١ « مرجع سابق »
(٢) رواه البخاري .

المسلمون من كل الاقطار يبدأون معا وينتهـون معا .. في وقت واحد ومكان واحد .. وعيادة المريض واتباع الجنائز ورد السلام من حقوق المسلم على المسلم .. وليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع ، كما جاء في الحديث الشريف .. « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

وهذه التربية الاجتماعية في الاسلام تؤدي إلى قيام مجتمع متراحم متكافل يصوره الحديث الشريف في قوله ﷺ :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ... » وصدق الله العظيم : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. « سورة الفتح - ٢٩ » .

فالرحمة بين المؤمنين سمة من سماتهم تدل على أثر الايمان في قلوبهم والزرع كما قال المفسرون في هذا المثل هو محمد ﷺ ، استجاب له المؤمنون الاولون كما يخرج من الزرع نبات آخر مثله فقوى بذلك الاسلام ، ﴿فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ وهكذا يتضامن المسلمون في مجتمعهم على أساس هذه التربية .. فيقوم مجتمعهم يغيظ قوى الكفر والالحاد .

دور المؤسسات التربوية الاسلامية :

ان هذه المبادىء التربوية الاسلامية لا تتحقق في المجتمع الا إذا التزمت بها المؤسسات التربية التي تتولى التنشئة والتي ينبغي أن تكون الفرد المسلم على منهج الاسلام . وأهمها البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام .

أما البيت .. « فمن الحقائق المسلم بها عند علماء النفس والتربية أن السنوات الاولى من حياة الطفل من أهم واخطر الفترات في تكوين شخصيته وتحديد ملامحها الرئيسية . وليس معنى ذلك أن هذه السنوات المبكرة تحدد نمو الطفل إلى الحد الذي لا يمكن معه احداث تغيير فيها بعد . ولكن المقصود هو أن

الأسس ذات الأهمية البالغة في حياة الطفل توضع في تلك الفترة . . »[1] .

. . « وإذا كنا نتحدث عادة عن التربية وأعيننا متجهة إلى المدرسة بوجه خاص ، فإن واقع الأمر أن العملية التربوية أوسع وأشمل من ذلك بكثير . حقيقة ان المدرسة هي المؤسسة التربوية المتخصصة التي يعتمد عليها المجتمع في نقل مهاراته وعاداته ومثله وقيمه ومعارفه من جيل إلى جيل ، والعمل على استمرار ثقافته ونموها وتجديدها ، ولكن المدرسة لا تبدأ عملها من لا شيء ، بل تتلقى الطفل من أنماط السلوك والمهارات المختلفة ، بحيث يمكن القول: إن الملامح الرئيسية للطفل تتحدد بدرجة كبيرة خلال تلك الفترة المبكرة التي يعتبر فيها البيت المجال الحيوي الرئيسي للتربية . . »[2].

وإذا كان هذا شأن البيت وأثره في تربية الطفل ، فان « البيت المسلم يجب عليه أن يربي أبناءه تربية تحقق هدف الاسلام وأركان الايمان في نفوسهم وسلوكهم، لأن المباهاة انما تكون بكثرة النسل الصالح، فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من الخسران والشر والنار التي تنتظر كل إنسان لا يؤمن بالله أو يتبع غير سبيل المؤمنين . . ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ التحريم ـ٦ وجاء لفظ « اهليكم » بالجمع يشمل الزوجة والولد .

وهذه المسؤولية تزداد أهمية في أيامنا لأن بعض عناصر الحياة الاجتماعية خارج الاسرة والمسجد ، ليست في كل الاحيان موافقة لهدف التربية الاسلامية كالمذياع والتلفزيون وبعض المجلات الخليعة والقصص الماجنة التي تتسرب إلى أيدي الأطفال ، فإذا لم يبق الأبوان يقظين حذرين لم يستطيعا انقاذ ابنائهما من احتيال الشياطين ، شياطين الانس والجن »[3].

يقول الاستاذ أنور الجندي : « تبدأ التربية الاسلامية في البيت عن طريق

---

(١) التربية ومشكلات المجتمع للدكتور / سيد ابراهيم الجيار ص : ٣٦ مكتبة غريب ـ القاهرة .
(٢) المرجع السابق ص : ٣٦
(٣) اصول التربية الاسلامية واساليبها لعبد الرحمن السخلاوي ص ١٢٤ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ دار الفكر ـ دمشق .

المحاكاة والقدوة والتلقين ، ذلك أن الطفل ينشأ فيعمل ما يعمله أبواه فإذا كانا يقيمان الصلاة ويقرآن القرآن فعل مثلهما وانطبعت في ذهنه تلك الصورة وتأثر بها مدى الحياة . وقد حرص الاسلام على العناية بالطفل قبل أن يولد باعداد الاطار الذي يتحرك فيه ، فدعا الرجل الى اختيار الزوجة الصالحة ، وفضل اختيار الزوجة ذات الدين على ذات الجمال والنسب والحسب لانها هي القادرة على تحمل المسؤولية .

وفرض على الأبوين حسن تسمية ابنهما وحسن رعايته منذ اللحظة الأولى بأن يكون أول ما يسمعه هو اسم الله تبارك وتعالى . وقد أعلن الاسلام أن كل مولود يولد على الفطرة ثم يوجه الأبوان الوجهة التي يختارانها له ، ومن هنا كانت مسؤولية الآباء نحو الأبناء وهى مسؤولية أساسية :

« فالرجل في بيته راع وهو مسؤول عن رعيته والأم في بيتها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها » وان الآباء مسؤولون عن فساد أبنائهم واخطائهم وعليهم في ذلك عقوبة التقصير وعدم بذل الجهد في تنمية هذه الثمرة على الوجه الأحسن . . »[1] .

وقد أشار الامام الغزالي رحمه الله إلى مسؤولية البيت في مجال التربية حين قال : « اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له »[2] .

وهذه حقائق مسلمة في كل بيت مسلم يحرص على أداء واجبه نحو الجيل الجديد ، والقرآن الكريم واضح في توجيهه إلى هذه الحقيقة في مثل قوله تعالى :

---

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام ص ١٦٦ « مرجع سابق »
(٢) إحياء علوم الدين للامام الغزالي الجزء الثالث ص ٦٢ ط التجارية القاهرة .

﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ « سورة طه آية ١٣٢ » .

وقوله تعالى عن اسماعيل عليه السلام : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾[١] . . كما نجد التوجيه القرآني بالعناية بتأديب الاطفال وتعليمهم أحكام الدين وآداب الاسرة في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾[٢]

فإذا كان القرآن قد عني هذه العناية بتعليم الأطفال أدب الاستئذان فما بالنا بحقائق الاسلام وأصوله ؟ ان العناية بها لا بد أن تكون أشد ومن هنا فإن البيت المسلم مطالب بأن يضمن اتصال الأجيال الجديدة بأصول الاسلام . . لتستمر الحلقات ولينشأ الابناء على نهج الآباء المسلمين والامهات المسلمات ، وجزاؤهم على ذلك أن يجمع الله بينهم في الجنة ، كما اجتمعوا في الدنيا على الايمان . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين ﴾[٣] .

أما إذا انحرف البيت عن وجهة الاسلام أو أهمل في أداء واجبه التربوي ، فان الخسارة حينئذ تكون فادحة .

يقول الأستاذ محمد قطب : « ومن البداهة في منهج التربية الاسلامية أنه ينبغي أن يكون الوالدان مسلمين حتى يمكنهما تنشئة اطفالهما تنشئة اسلامية ، ومع

---

(١) سورة مريم ٥٥

(٢) سورة النور ٥٨ ـ ٥٩

(٣) سورة الطور ٢١ . ومعنى التناهم : نقصناهم

بداهة هذه الحقيقة فكم من الذين يقولون بأفواههم انهم مسلمون يحرصون على اسلامهم فهما او ممارسة ؟ ! كم منهم يؤدي شعائر الاسلام التعبدية فيصلي ويصوم ويؤدي الزكاة ان كان ممن تجب عليهم ويفكر في الحج ان كان من القادرين عليه ؟ فضلا عن أن يعرف أن « لا إله إلا الله » معناها تحكيم شريعة الله فيسعى إلى تحكيمها ، أو على الأقل ينكر بقلبه حكم الجاهلية ، وهو أضعف الايمان الذي قال عنه رسول الله ﷺ انه ليس وراءه من الايمان حبة خردل .

هل نعجب اذن من أن ينشأ الأطفال بعيدين عن الاسلام وأهلهم لا يتحينون الفرصة لفطرتهم أن تستقيم على طبعتها السوية ، وانما يعملون على انحرافها بما يمارسون هم من انحراف عن طريق الله المستقيم »[١] .

دور المدرسة :

« قد يظن البعض أن المكان الوحيد للتربية هو المدرسة باعتبارها المؤسسة التعليمية المتخصصة ، ولكن الواقع أن التربية لها وسائلها المتعددة التي تشمل المسجد والنادي والبيت والجيرة والحي السكني والبيئة المحلية والمدرسة كما تشمل الصحافة والاذاعة والتليفزيون إلى غير ذلك من المؤثرات التربوية المختلفة التي تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تربية الفرد وتكوين شخصيته . »[٢] .

ولا تستطيع المدرسة أن تقوم بدورها التربوي في المجتمع الاسلامي إلا إذا اتضحت في ذلك المجتمع مناهج التربية الصحيحة كما يريدها الاسلام ، واتفق البيت في ذلك مع المدرسة .

(لا بد لكي يقوم منهج التعليم الاسلامي من أن تكون قوائم «التربية الاسلامية» قد أعدت ، وانه لا سبيل إلى نجاح رسالة التعليم الا إذا قامت وفق منهج تربوي صحيح ، فالتربية للفرد والتعليم للمجتمع . والتربية هي الطريقة التي تطبع الفرد بطابع معين لاعداده لتلقي التعليم الذي هو مجموعة المعارف التي تزود الفرد

---

(١) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب الجزء الثاني ص ٨٨ - ٨٩ مرجع سابق
(٢) التربية ومشكلات المجتمع للدكتور سيد ابراهيم الجيار ص ٣٢ « مرجع سابق »

بالخيرات، والتعليم وحده لا يغني ولا يكفي دون أن تمهد أمامه الطرق من الأخلاق والقيم والاهداف الواضحة السديدة)[1] .

(إن هـدف التعليم الاسلامي هو تنشئة الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الارض وفق الشريعة ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه . ومفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على أداء الشعائر التعبدية فحسب ، بل يشمل نشاط الانسان كله من إعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل ، ما دام الانسان يتوجه بهذا النشاط الى الله ويلتزم فيه شرعه ويسير على نهجه تحقيقا لقوله سبحانه : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾[2] .

ولهذا فإن المدرسة في المجتمع الاسلامي تصوغ برامجها وفق هذا الهدف ، وتجعل غرس العقيدة الصحيحة أول عمل لها وتوجه كل المناهج نحو هذه الغاية .

والمدرسة على اختلاف مراحلها - في المجتمع الاسلامي - تجمع بين علوم الدين . . التي هي فرض عليها . . وعلوم الدنيا . . التي هي فرض كفاية . . تعبيرا عن شمول الرسالة الاسلامية وتوازنها .

ويدلنا تاريخ التربية الاسلامية الطويل على أن التـوازن بين علوم الدين والدنيا كان موجودا في عصور القوة والازدهار الاسلاميين وإن هذا التوازن لم يختل إلا في عصور الضعف التي لا تحسب على الاسلام وإنما يمكن حسابها على التخلي عنه ، ومع هذا التوازن بين علوم الدين وعلوم الدنيا في منهج التعليم في الاسلام ، كان هناك تركيز على بعض العلوم دون بعضها الآخر ، حسب مرحلة النمو ، وحسب مرحلة التعليم وحسب التخصص الضيق في مراحل التعليم العليا في المساجد ودور الحكمة والجامعات فيما بعد)[3] .

(أي أن منهج التعليم في الاسلام منهج « وظيفي » هدفه تخريج وتشكيل

---

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام انور الجندي ص ١٨٥ « مرجع سابق » .
(٢) كتاب مؤتمر التعليم الاسلامي الأول ص ٩٠ - جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٧ مطابع الأهرام التجارية - القاهرة .
(٣) في التربية الاسلامية للدكتور عبد الغني عبود ص ١١٨ « مرجع سابق »

« إنسان » مسلم عارف بدينه وربه ، يتحلى بأخلاق القرآن ويتصرف وفق قواعده ومبادئه ، وفي الوقت ذاته تخريج (إنسان) فاهم للحياة قادر على أن يعيش حياة كريمة في مجتمع حر كريم ، يقدر على أن يعطيه ويساهم في حركة بنائه ودفعه وتطوير الحياة فيه من خلال عمل معين يتقنه ويجيده)(١).

والمدرسة في المجتمع الاسلامي انما تعطي الناشيء مفتاح المعرفة وتدله على طريق العلم . (ولن تنقطع حاجة الانسان الى التعلم ما دام حيا ، فإن الكون لم يعطنا إلا القليل من أسراره والمسلم لا يشبع من معرفة ، وهو يزداد معرفة بالله كلما اتسعت مداركه ، وانواع العلوم التي يتلقاها عن الكون والناس والحياة تجعله أضبط للحقائق واقدر على الاستنتاج وأهدى الى الصواب . ولا نعرف دينا احتفى بالعلم وجعله لباب التقوى كالاسلام . إن المستوى الراقي للعقل الانساني مهاد جميل لما بعده من حس رقيق وانطباع شريف)(٢) . وهذا ما يهدف إليه العلم في الاسلام .

دور المسجد :

. . (كان للمسجد في صدر الاسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددا منها ، فقد كان منطلقا للجيوش وحركات التحرير ، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر والاوثان والطواغيت ، ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده ، وكان المسجد مركزا تربويا ، يربى فيه الناس على الفضيلة وحب العلم ، وعلى الوعي الاجتماعي ، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الاسلامية التي اقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة ، أي البدء بمحو الامية من مسجد رسول الله ﷺ ، وكان المسجد مصدر اشعاع خلقي يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل)(٣).

والمسجد هو المكان الذي يفترض أن يدخله المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة ، ما استطاعوا ذلك ، ولهذا كان حرص الاسلام على الجماعة في الصلاة

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨

(٢) نظرية التربية الاسلامية للفرد والمجتمع للشيخ محمد الغزالي ص ٧ ـ ٨ من بحوث ندوة خبراء اسس التربية الاسلامية « مرجع سابق ».

(٣) اصول التربية الاسلامية وأساليبها للاستاذ عبد الرحمن النحلاوي ص ١٢٠ « مرجع سابق »

والمسجد ، وكان وعيد الرسول ﷺ لمن يتخلفون عن المسجد ويصلون في بيوتهم كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري : (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أخالف إلى أقوام يصلون في بيوتهم فأحرقها عليهم) .

ومغزى ذلك أن الاسلام لا يرضى من المسلم بمجرد الصلاة ، ولو في بيته ولكنه يريد منه ما دام صحيحا قادرا أن يغشى المسجد وأن ينتفع بما فيه من هداية وعلم وروح اجتماعية اسلامية ، وعلى قذر حرصه على غشيان المسجد تكون درجة ايمانه كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم « رجل قلبه معلق بالمساجد » أي محب لدخولها حريص على الجماعة فيها .

وما ذلك إلا لخطر رسالة المسجد التربوية لأنه . . (عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين ، فيه يرون الـراشدين مجتمعين على الله فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة الاسلامية ، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية فيبدأون بوعي العقيدة الاسلامية وفهم هدفهم من الحياة وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة . وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه ، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القرآن ، دستور المجتمع الاسلامي والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم . وفيه يتعلمون الحديث والفقه ، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للانسان . ومن هداية الله وسنة رسوله . ومن العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الاسلامـي وغيرها . . . ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله . فشعار الاجتماع في المسجد لأمر طارىء أن ينادي مناد في أسواق المسلمين ومآذنهم : الصلاة جامعة ، فإذا اجتمعوا كان أول عملهم أن ينتظموا صفوفا ويصلوا ركعتين، ثم يتداولون أمرهم، هذا إذا اضطروا للاجتماع في وقت لا تحين فيه صلاة فريضة ، وفي الحالات غير الاضطرارية ينتظرون وقت الصلاة المفروضة فلا يبرمون أمرا إلا بعد اجتماعهم على صلاة .

فالمسجد على هذا يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله . وصادرة عن هدف التربية الاسلامية الشامل الذي هو اخـلاص العبودية لله . .

وينغرس هذا المعنى في نفس الناشىء عفوا من غير مقصد ولا تكلف .

وقد بقي تعلم القرآن في الكتاتيب والمساجد إلى عهد قريب وسيلة لتعلم القراءة والكتابة ، فكان الاطفال قبل انتشار المدارس الحديثة يتقنون قراءة القرآن فيتعلمون القراءة على اسلوب الطريقة الجملية، أي أنهم يتقنون التعرف إلى صور الكلمات المكتوبة مقترنة بألفاظها المنطوقة)[١] .

والتاريخ يسجل أن المساجد في العهد الاسلامي الأول كانت هي المدارس أيضا ، قبل أن يتسع نطاق التعليم ويحس الناس بالحاجة إلى استقلال المدرسة عن المسجد ، دون أن ينقطع دور المسجد التعليمي .

يقول الاستاذ محمد عطية الابراشي :

(لقد حث الاسلام على التعليم ، فأقبل المسلمون عليه وانتشر في المساجد والجوامع في جميع البلاد الاسلامية وكثرت الحلقات التعليمية فيها بجانب الصلاة والعبادة ، وأحس المسلمون أنهم حقا في حاجة إلى إنشاء مدارس علمية ومعاهد عالية ، كي لا يحدث ضجيج في المساجد الضيقة في أثناء الدرس ، بسبب الجدل والمناقشة في الدروس ، ويروي المقريزي في الخطط أن المدارس لم تعرف في عهد الصحابة والتابعين ، ولم تنشأ إلا في نهاية القرن الرابع الهجري . وإن أهل نيسابور أول من بنوا مدرسة في الاسلام وسموها المدرسة البيهقية)[٢] .

وللمساجد تاريخ علمي حافل . . فالمسجد الحرام بمكة ، والمسجد النبوي بالمدينة ، وجامع عمرو في القاهرة ، والمسجد الاموي والجامع الأزهر ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وجامع الزيتونة في تونس ومسجد قرطبة في الأندلس والمسجد الأقصى ، كلها ذات أثر واضح في تاريخ العلم في الاسلام .

وقد ظل التعليم في بعض هذه المساجد قائما طوال أربعة عشر قرنا من الزمان ، وما يزال حتى اليوم ، كالحلقات التعليمية في المسجد الحرام بمكة ، والمسجد النبوي بالمدينة والأزهر بمصر . . وكانت هذه المساجد في الحقيقة جامعات

---

(١) اصول التربية الاسلامية وأساليبها للاستاذ عبد الرحمن النحلاوي

(٢) التربية الاسلامية للأستاذ محمد عطية الابراشي ص ٩١ « مرجع سابق ».

ذات مناهج محددة تتسم بالحرية العلمية والتنوع في ما يدرس فيها من علوم دينية ودنيوية .

ومن هنا فإن الأثر التربوي للمسجد يتجلى في الجانب الروحي والجانب الخلقي والجانب العقلي والجانب العلمي بالاضافة إلى توثيق الصلة الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم .

وقد انحسرت رسالة المسجد في عصرنا الحاضر ، واقتصرت في بلاد إسلامية كثيرة على أداء الصلاة ، وبعدها تغلق المساجد ، كما قل اقبال كثير من المسلمين على غشيان المساجد ، نظرا لما أصاب المجتمع الاسلامي المعاصر من ضعف في جانب الالتزام بمناهج العقيدة والخلق الاسلامية .

دور وسائل الاعلام في إعداد الفرد المسلم :

(إن وسائل الاعلام في العصر الحديث تعتبر من أهم الوسائل التربوية حيث تقدم مواد علمية وثقافية متنوعة من خلال المسرح والسينما والاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية المسموعة ، والصحف والمجلات المختلفة . ولعلها تعتبر من الوسائط التربوية الشيقة ، فهي تجذب الناس من مختلف الاعمار ومن الجنسين ، وهي أداة هامة من أدوات التربية المستديمة ومن أدوات النهوض بالمجتمعات ثقافيا . كما أنها تمتاز بمميزات لا تتوافر في غيرها من وسائط الثقافة الاخرى ، حيث أنها سريعة الاستجابة لنشر المستحدثات في مجال العلم والمعرفة والتطبيق سريعة الاذاعة لها . وقد مكنها من ذلك اعتمادها اساسا على العلم الحديث وتطبيقاته في مجالها .

وهي بذلك قد مكنت كل الناس من التعرف على أشياء وأماكن كثيرة يصعب الوصول إليها مباشرة مما يثير حماسهم ونشاطهم واهتمامهم ببعضهم وتتبع نهضاتهم .

وهي بذلك ذات تأثير قوي على الرأي العام وتكوينه وتوجيهه في القضايا المصيرية والمعاصرة والقضايا الاجتماعية والقومية الهامة .

وهي تختلف عن وسائط الثقافة الاخرى في أنها تنقل إلى الناس خبرات ليست في مجال تفاعلاتهم البيئية والاجتماعية المباشرة ، كما أنها تنقل مواد ثقافية

متنوعة جدا مما يكون له أثره على تربية الأجيال ، ولذلك فهي حاجة إلى أن تتكامل مع وسائط التربية الأخرى في أهداف عامة مشتركة حتى لا تؤكد اتجاهات قد تكون مختلفة عما تؤكده الاسرة أو المدرسة مثلا . ولذلك فمن الضروري مشاركة المجتمع في تخطيط برامجها .

ومما يزيد من أهمية هذه الوسائل أن التربية المدرسية نفسها أصبحت في كثير من دول العالم تعتمد عليها في تنفيذ كثير من برامجها واهدافها . .)[1] .

هذه هي أهمية وسائل الاعلام في العصر الحديث ، ولهذا وجب على المجتمع الاسلامي أن يوجه هذه الوسائل لخدمة أهدافه ومثله العليا وأن يجعلها متقيدة بالاخلاق والآداب الاسلامية .

والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾[2] .

فالمسلم مسؤول عما يسمع وما يبصر وما يعقل . وهو مطالب بأن يستعمل هذه الوسائل التي زوده الله بها للحصول على المعرفة فيما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه . . (. . وإن وسائل الاعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التي يمكن أن تعاون المدرسة في مهمتها إذا سارت على المنهج الاسلامي ، والتي في امكانها كذلك أن تدمر كل أثر للتربية المدرسية إذا سارت على منهج مضاد للقيم الاسلامية . .)[3] .

وقد أوصى المؤتمر الأول للتعليم الاسلامي الذي عقد بمكة المكرمة سنة ١٣٩٧ هـ بأن (يطلب من القائمين على وسائل الاعلام في البلاد الاسلامية عرض برامج مبسطة عن العلوم من المنطلق الاسلامي الذي يربط بين الدين والعلم ويستخدم العلم في تعميق الوجدان الديني . كما يوصي بايجاد محاولات جادة لانتاج برامج ثقافية تقوم على القيم الاسلامية لتحل محل المسرحيات والافلام الهابطة

(١) مقدمة في التربية للدكتور محمود السيد سلطان ص ١١٦ ـ ١١٧ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة .
(٢) سورة الاسراء آية ٣٦
(٣) ص ٩٧ من كتاب المؤتمر الأول للتعليم الاسلامي بمكة المكرمة « مرجع سابق »

والصور الخليعة التي تحتل مكانا بارزا في البرامج والافلام في الوقت الحاضر)[١] .

وفي الكتاب والسنة ما يوجب هذه المطالبة وما يحتم هذا الموقف . فقد ذم القرآن الشعر الجاهلي الذي كان يقوم على الكذب والبهتان والغلو والصور الفاحشة ويصور الفواحش والآثام . قال تعالى :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾[٢] .

واستثنى منهم الشعراء المؤمنين الذين يذكرون الله كثيرا والذين لا يعتدون على أعراض الناس بأقوالهم ، فقال سبحانه : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[٣] .

فالشعر في ذلك العصر كان أقوى وسائل الاعلام ذات الأثر في حياة ذلك المجتمع . والرسول ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[٤] .

ولو أن وسائل الاعلام في هذا العصر التزمت بآداب الاسلام وأخلاقه لأسهمت اسهاما قويا في بناء الشخصية الاسلامية على مبادىء الاسلام ، ولحققت أهداف التربية الاسلامية في تكوين الفرد الصالح والمجتمع الصالح .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧
(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦
(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧
(٤) اخرجه البخاري في كتاب الادب من صحيحه ومسلم في باب الايمان .

الفصل السادس

جمود النظرية التربوية الاسلامية والاستعمار

١ - المؤثرات السياسية
٢ - المؤثرات الاجتماعية
٣ - المؤثرات التربوية
٤ - الاستعمار الفكري
٥ - تبني مناهج بعيدة عن الاسلام

الفصل السادس

جمود النظرية التربوية الإسلامية والاستعمار

المؤثرات السياسية :

المقصود من هذا الجمود هو توقف هذه النظرية عن الانتشار والسيطرة على التعليم في البلاد الاسلامية بصفة عامة في هذا العصر الحديث حيث تراجعت هذه النظرية وحلت مكانها فلسفات الغرب التربوية على تعدد مدارسها شرقاً وغرباً ، وحسب اللون الاستعماري الذي يسيطر على هذا البلد الاسلامي أو ذاك .

فكانت لبريطانيا مناطق استعمارية في البلاد الاسلامية هي مصر والسودان والعراق وفلسطين والهند وعدن وغيرها من البلاد التي خضعت لنفوذها .

وكانت لفرنسا مناطق استعمارية أخرى في بلاد المسلمين هي تونس والجزائر ومراكش وبلاد افريقية أخرى . وكان لايطاليا استيلاء على ليبيا فترة من الزمن في أوائل القرن العشرين .

هذا الاستعمار العسكري كان مقدمة لاستعمار ثقافي وتربوي عانت منه البلاد الاسلامية في هذا القرن ولا تزال .

« ولقد كان المستعمرون غاية في الدهاء والمكر والبراعة عندما بدأوا معركتهم من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الارساليات التبشيرية التي سبقت ووضعت مناهج التعليم ، وألزمت وزارات المعارف والتعليم بأن تنقل مناهجها وتطبقها .

وقد استطاعت قوى الاستعمار أن تفرض هذه المناهج على المدارس الأميرية ، ولم يسلم منها إلا قليل من المدارس الأهلية في مراحلها الاولى ولكن مالبث شبابها أن وضعوا في البوتقة عندما وصلوا إلى الدراسات العليا الجامعية التي كانت في قبضة حديدية من الاستعمار والتغريب حتى لا يفلت أحد ممن سيوكل اليهم أمر الصدارة والقيادة في المجتمعات الاسلامية »[١] .

لقد حارب الغرب الصليبي التربية الاسلامية وعزلها عن الحياة ودفع نظامه التعليمي إلى البلاد الاسلامية بكل قوته . وكانت تلك أعظم بلية ابتلي بها العالم الاسلامي في هذا العصر .

يقول الاستاذ أبو الحسن الندوي : « لقد كان النظام التعليمي الغربي محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاسلامي والقضاء عليه ، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا يؤثرونها في إبادة الأجيال والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرروا صوغها في قالبهم ، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات . . . وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الاسلامي « أكبر » الاله آبادي في أسلوبه الطريف الخاص ، إنه يقول في بيته السائر . . . : « يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس (الكليات) وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ ! » . كما أوضح الفرق بين سياسة الشرق والغرب في بيت آخر يقول : « إن أهل الشرق يقضون على العدو بشرخ رأسه ، ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه » .

وجاء إقبال بعده بعدة سنوات ، وقد اكتوى بنار نظام التعليم الغربي شخصياً وخاصة في دراسته ، فأبدى حقيقته في اسلوب أكثر عمقاً وأبعد عن التنكيت والدعابة ، يقول « إياك وأن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » .

إنه يعبر عن ذلك الانقلاب الهائل والتحويل الجذري الذي يحدثه نظام التربية الحديث بقوله : «ان التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام للاستاذ أنور الجندي ص ٨ (مرجع سابق) .

ثم يكونها كما يشاء ، ان هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية ، هو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخاً إلى كومة تراب » . انه يرى نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق كما يقول « ان نظام التعليم الغربي انما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة » .

إن « إقبال » من أولئك الرجال المعدودين الذين خاضوا بحر نظام التعليم الغربي فلم يخرجوا من قعره سالمين فقط ، بل وقد جاؤوا معهم بدرر كثيرة ، وازدادوا ثقة بأنفسهم ، وإن كان من الصعب أن نحكم على إقبال أنه لم يخضع للتعليم الغربي والفلسفة الغربية في قليل أو كثير ، وإن فهمه للدين يطابق الكتاب والسنة وفهم السلف تماماً . . ، ولكن الذي لا مرية فيه أنه لم ينصهر في بوتقة الغرب كما انصهر آلاف من معاصريه ، وحق له أن ينشد في هذه المناسبة شعره الذي معناه :

« كسرت طلسم العصر الحديث وابطلت مكره ، التقطت الحب وأفلت من شبكة الصياد ، يشهد الله إني كنت في ذلك مقلداً لابراهيم فقد خضت في هذه النار واثقاً بنفسي ، وخرجت منها سليماً محتفظاً بشخصيتي » .

أما شهادة الزعيم الاسلامي الهندي مولانا محمد علي عن التعليم الحديث وأثره ، فتحمل قيمة لا تنكر ، وقد تربى في بيئة مؤمنة دينية ، ثم بدأ دراسته في أكبر مراكز التعليم الغربي (الجامعة الاسلامية في عليكرة) في الهند ، إنه يقول في ترجمة حياته :

« لقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الديني الكامل ، فقد اقصت دراسة الدين حتى دراسة الاخلاق تماماً من الكليات وطبقت هذه السياسة التعليمية عملياً في ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية إلا ما يتلقفه الطلاب بأنفسهم من الكتب الانجليزية أو الكتب الدراسية المؤلفة بلغات المشرق .

كما أن نظرية التعليم التي وضعتها الحكومة للشباب الهندي كانت حديثة ، وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة إلى أن يتربى في الطالب شعور خاطىء بعلمه وكبريائه ، يقضي على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التي يرجع

تاريخها إلى ما قبل قرون ، ومما لا شك فيه أن هذا التعليم سبب إثارة دافع التحقيق والبحث عن الحقيقة ، مع مسايرته للزمان ، غير أنه كان هـداماً في حملته على الديانة والأخلاق ، أما ما أعطاه بدلاً مما قضى عليه من « الاوهام الدينية » كما يقول الغربيون فلا يقوم أيضاً إلا على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن هذه الثقافة التي يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك »[1].

المؤثرات الاجتماعية والتربوية :

إن هذا الهجوم لمناهج التربية الغربية على العالم الاسلامي لم يكن لينجح ، لو لم يجد المجال مهيأ أمامه لملء الفراغ . وقد بدأ انحسار موجة الثقافة والعلم في المجتمع الاسلامي في أواخر الدولة العثمانية ، التي كانت تبسط نفوذها على أكثر انحاء العالم الاسلامي .

ففي ظل الحكم التركي انتشر الفقر والجهل بين العرب والمسلمين الذين كانوا يعيشون في ظلمة حالكة . وأصاب ميدان التربية التأخر والجمود والتردي . . .

« دليل هذا التردي أن النظرة إلى « الانسان » موضوع التربية وكذلك النظرة إلى المجتمع صارت نظرة متخلفة ، أبسط ما توصف به هو « الجهل » فلا هي تتفق مع نظرة الاسلام إليها ـ كما رأيناها في عصور الاسلام الأولى ـ ولا هي تتفق مع نظرة المجتمعات الحديثة إليها في ذلك الوقت »[2].

وقد كانت « طريقة التعليم القائمة في معاهد التعليم مما يمكن أن نسميه بالطريقة السالبة ، حيث يقف المتعلم أمام ما يقرأ أو يسمع موقفاً سلبياً بحتاً لافاعلية له ، إلا استقبال المعلومات واختزانها في ذاكرته حتى يأتي الوقت المناسب لاستظهارها واستعادتها »[3].

---

(١) نحو التربية الاسلامية الحرة للاستاذ أبي الحسن الندوي ص ٣٣ ـ ٣٦ (مرجع سابق)
(٢) في التربية الاسلامية للدكتور عبد الغني عبود ص ١٩٨ (مرجع سابق)
(٣) تاريخ التربية والتعليم للدكتور سعد مرسي أحمد والدكتور سعيد اسماعيل علي ص ٢٧٨ القاهرة ـ عالم الكتب سنة ١٩٧٢ م

« وايجابية المتعلم وشخصيته المستقلة التي يجب أن تنمى ورأيه فيما يقرأ ويسمع . . صارت كلها مسائل لا وجود لها في طرق التدريس ، وذلك لأن سلبية الانسان في الحياة العامة لانحطاط قدره تحت بطش الارهاب التركي صارت تنعكس على تربيته ، وكان هذا التعليم حراً ، ومعنى أنه حر أنه لا تتولاه سلطة حكومية ولكنه يسير على نظام موروث مفصل ، لا يحيد عنه المعلم ولا المتعلم ، فهو ليس بالحر ، ذلك أن فلسفة الحكم العثماني كانت تقوم على تخفيف الدولة بقدر ما تستطيع من أعباء الحكم المباشر ، فتترك الرعية يدبرون شؤونهم بأنفسهم طالما ظلوا على ولائهم لها »[1] .

وأدى ذلك إلى انحسار التعليم الاسلامي وبعده عن الأصالة والابتكار ، وانحصاره في طوائف معينة ، وعلوم معينة هي : (قمة الوسائل وهي اللغة والحساب والمنطق ، وعلوم المقاصد وهي علوم الدين كالحديث والتفسير والفقه ، وكانت الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفية قد اختفت من نظام التعليم منذ القرن السادس عشر أي منذ سيطر الاتراك على البلاد ، وورثوا الثقافة العربية)[2] .

وفي هذه الفترة اختفى الاجتهاد حتى في البحوث الاسلامية وأصبحت الكتب ترديداً لما سبق أن قيل ، وفي لغة سقيمة ضعيفة غامضة ، وهذا هو الوضع الذي عانى منه من أرادوا اصلاح التعليم الديني ومنهم الشيخ الامام محمد عبده ، ففي تاريخ الامام محمد عبده أنه بعد أن حفظ القرآن . . . « وبعد أن قضى الفتى في تجويد القرآن نحو سنتين جلس في دروس العلم بالمسجد الاحمدي ، فبدأ يتلقى قواعد اللغة العربية ، ولكن منهج التعليم في الجامع كان وعراً سخيفاً منافياً للعقل ، كان المشايخ يفاجئون المبتدئين من الطلاب بما يجهلون من الاصطلاحات وقواعد الاعراب ويطالبونهم بأن يستظهروا استظهاراً ولا يعنيهم بعد ذلك أن تكون معانيها عندهم مفهومة أو غير مفهومة ، وقد يبيحون المناقشة أو المراجعة ولكنها كانت مناقشات لفظية لا حاصل لها ولا تقدم الطالب خطوة في اكتساب المعرفة الحقيقية .

---

(١) في التربية الاسلامية ص ١٩٨ (مرجع سابق)
(٢) المرجع السابق ص ١٩٩

ما عسى أن يكون وقع هذا النوع من التعليم في نفس ناشىء مثل « محمد عبده » سليم الفطرة ذكي الفؤاد صريح مع نفسه ومع الناس حريص على أن يفهم وعلى أن يحتفظ باستقلاله في الحكم على الأشياء ؟

وماذا يصنع الفتى إذا وجد نفسه مرغماً على أن يحفظ كتاباً « كشرح الكفراوي على الاجرومية » لا يفهم منه متنـــاً ولا شرحاً، بل لا يكاد يفهم منه عنوانه ؟

أخذ الفتى يسائل نفسه : ترى « ما الأجرومية »؟ وما معنى « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ؟ وما معنى « الاعراب هو تغيير أواخر الكلام لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً او تقديراً . . ؟

ويخرج طالب العلم من المسجد يائساً من فهم النحو العربي ، وقد عالج أمره زهاء سنة ونصف فما أفلح ، وما فهم منه قليلاً ولا كثيراً وأسرع الخطى نحو المنزل وهو يحدث نفسه :

ـ ما أصعب علوم اللغة العربية علي ! ولكنها لغة القرآن وقد حفظته واجد له في نفسي رنيناً جميلاً .

وسرعان ما دب الأسى إلى قلب الفتى الحساس ، إنه إن بقي يستمع إلى ما يستمع إليه الطلاب أضاع وقته فيما ليس منه طائل ، فتخطر بباله فكرة الهرب وينفذها لساعته »[1] .

ولم يرجع الطالب محمد عبده إلى الدراسة مرة اخرى إلا بعد أن التقى بالشيخ « درويش » الذي تولى تربيته وارشاده إلى كيفية طلب العلم والسلوك الديني الصحيح . . فأخرجه كما قال « من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد إلى اطلاق التوحيد »[2] .

والذي نريد اثباته هنا هو ما كان يسود مناهج التعليم في تلك الفترة من جمود وبعد عن روح التربية الاسلامية الصحيحة ، التي تخاطب الناس على قدر عقولهم ، وتخاطبهم بما يفهمون .

---

(١) محمد عبده للدكتور عثمان أمين ص ٧ ـ ١٠ سلسلة اعلام الاسلام الصادرة عن لجنة دائرة المعارف الاسلامية ط. عيسى الحلبي وشركاه القاهرة ١٩٤٤ م

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣

يقول الشيخ محمد مصطفى المراغي يصف البيئة الأزهرية التي نشأ فيها محمد عبده قال : « نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة . . . وذهب يتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمساعدة على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة ، ولا على فهم القرآن الكريم وفق الاساليب العربية ، ولا الفقه بساد حاجة المجتمع وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن إليه العقل ويقنع الخصم .

المتحدث في الاجتهاد وتخير الاحكام ـ لتطابق الأحكام وحاجة العصر ولتلائم احوال الأمم وأحوال الأزمنة ـ مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون . والداعي إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء المبرزين والداعي إلى كتب الاولين مقصر عن فهم كتب المحققين من المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات ـ مخالف لما درج عليه صالحو هذه الامة وجهابذتها »[1] .

ولم يكن هذا الجمود في طرق التربية والتعليم في مصر وحدها ، بل كان عاماً في كل البلاد الاسلامية ، فهي جميعها متشابهة في ظروفها واحوالها .

فقد ألقى الشيخ محمد عبده محاضرة في العلم الاسلامي والتعليم في تونس لخصتها جريدة « الحاضرة التونسية » ثم نشرها الشيخ محمد رشيد رضا في مجموعة رسائل للامام بعنوان : « تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن »، ويليهن خمس اشارات للاستاذ الامام .. وقد طبع هذا المجموع بمطبعة المنار سنة ١٣٥٣ هـ.

وفي هذه المحاضرة يقول الشيخ محمد عبده :

« وقد رأيت في بلاد الاسلام التي سحت فيها عدة أناس يشتغلون بالعلم ولكني وجدت عند الأغلب اشتباها في : ما هو العلم الذي ينفق الوقت في

(١) المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣

تحصيله ؟ هذا فيما يخص الأمر المهم الذي كررته لكم ومازلت اكرره من اهمية التعليم حتى ينتج ذلك التكرار ما نتمناه من التقدم ما دام الناس في حاجة إلى التكرار . ثم إن هناك مسألة مشتركة بيننا وبينكم عامة في سائر بلاد الاسلام وهي مسألة الرضا بالموجود ولها تعلق أيضا بالتعليم فإذا ذكرت نقصاً أو عيباً في طريقة ما أو في حالة من الأحوال قيل لك : ماذا نصنع ونحن ناس متوكلون على الله ، وهذا مراد الله من عباده ؟ . . وهو عذر المقصر عند تقصيره في بلاد الاسلام ، وعون على ما نراه من النقص في طرق تحصيل العلم ، ولذلك أردت ضمه إلى بحث التعليم »[1] .

وقد وجد الشيخ محمد عبده الحاجة ماسة إلى بيان معنى العلم ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[2] ـ وهو استفهام انكاري معناه أنه لا يستوي عالم وجاهل وقال تعالى : ﴿ هل تستوي الظلمات والنور ﴾[3] اي أن الظلمة لا تساوي النور فبين لنا تعالى أن الظلمة مثال لحال من لا يعلم وأن النور مثال لحال من يعلم ، فتبين من ذلك أن عدم العلم يشبه الظلام ، ونحن نعلم ما يكون من الانسان إذا اشتد به الظلام وهو سائر في الطريق يقصد غاية معلومة ، فإن الظلام يعمي عليه الطريق ، وربما سلك طريقا يبعده عن مقصده ، وقد يصادف مهواة فيسقط فيها فتدركه هلكته قبل الوصول إلى غايته . وهذه حال الجاهل بوسائل أي غاية من الغايات التي يعرض للانسان قصدها في حياته ، فكل من طلب غاية في حياته بدون علم لا يصل اليها ، فيؤخذ حينئذ من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى بين لنا أن العلم للانسان نور ، لا بمعنى أن العلم سراج أو مصباح ، وانما ذلك مثال لحال من يعلم الطريق الموصلة له إلى مطلبه والوسائل المؤدية إليه »[4] .

إلى أن يقول الشيخ محمد عبده في محاضرته في أهل تونس . . . : « لا نريد من العلم تصور القواعد ، وإنما نريد منه ملكة الايضاح والبيان وكون المراد منه

(١) تفسير الفاتحة للسيد محمد رشيد رضا ويليهن خمس اثارات للاستاذ الامام ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨
(٢) سورة الزمر آية ٩
(٣) سورة الرعد ١٦
(٤) المرجع السابق ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

هذا أمر بدهي ، إذ لولا الكتابة لما وصلنا إلى درجة من الدرجات التي نراها . فافتتاح الله تعالى الوحي بطلب العلم والثناء عليه سبحانه بأنه هو الذي علمه ووهبه الانسان ، إرشاد إلى فضل العلم وحث على تحصيله ، خصوصاً العلم بالقلم . فالعلم ما يبصر الانسان في الغاية التي يطلبها ويهديه إلى الحق الذي هو معقد النجاة »(١) .

وكان الشيخ محمد عبده يريد بهذا التوضيح ربط العلم بالعمل وبيان أن المقصود منه هو حصول الملكة لا مجرد معرفة القواعد وحفظها ولهذا يرد على هؤلاء الذين جمدوا عند حد معرفة القواعد دون القدرة على استعمالها فيقول: «ولكن من الناس من يقول لك : العلم يطلق باطلاقات ثلاث: الادراك ، والقواعد ، والملكة ، فتحصيل القواعد وإن لم تحصل الملكة يسمى علما على الحقيقة فاشتغالنا بتحصيله اشتغال بتحصيل العلم ، غير أن هذا القائل لم يراع ماذا قصد المسمي للقواعد علما . فإنه لم يضع لها هذا الاسم إلا لأنها توصل إلى الغاية في رأيه ، فإذا استعملت لغير الغاية فقدت معناها وعدت من الشواغل عن العلم المطلوب ، فإن شاء سمى هذه الشواغل جهلا لأنها أضلته عن العلم المطلوب ، وإن شاء فليسمها علما كما يهوى لا كما يعرف الناس . . »(٢) .

ويتحدث الشيخ محمد عبده عن المنهج الصحيح لدراسة العلوم الاسلامية ، وعن تجربته في بداية أمره :

« وقد وقع لي أني مكثت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئا من شرح الكفراوي على الأجرومية ، فحملني عدم الفهم على الهرب من طلب العلم لتمكن اليأس من نفسي ، ولكن لأمر أراده الله قهرني والدي على الرجوع إلى الطلب ، فهربت في الطريق ، ولكني صادفت في مهربي من علمني كيف أطلب العلم من أقرب وجوهه ، فذقت لذته واستمررت في طلبه »(٣) .

ويبين الشيخ محمد عبده المنهج التربوي الذي ينبغي أن يسير عليه المعلم

---

(١) المرجع السابق ص ٢١١
(٢) المرجع السابق ص ٢١٣
(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ ـ ٢١٥

فيقول : « فعلى الاستاذ أن يكون بيده ميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استعداده لقبول ما يقول ، ويجب على المدرس أن يتنازل مع المبتدىء إلى درجة ثم يرتقي به شيئا فشيئا حتى يصل إلى الدرجة التي يتمكن فيها من ادراك دقيق المعاني ، وهذا الفن ـ فن معرفة درجات الاذهان وكيفية الاستفادة ـ فن مخصوص تستلزم قراءته ست عشرة سنة إذا كان شرح المطول(١) يحتاج في قراءته إلى ثمان سنين .

ومن أنفق أوقاته في هذا الفن ، الذي ألفت فيه الكتب وبسطت فيه فإني أضمن ثوابه عند الله تعالى أضعاف ثواب من يختم قراءة المطول لما أنه يرشدنا إلى الغاية التي طالبنا الله بها »(٢).

والفن الذي يشير إليه الشيخ محمد عبده ويوجه الانظار إلى دراسته ويسميه « فن معرفة درجات الاذهان وكيفية الاستفادة » ليس إلا علم التربية ، الذي لم يكن للمعلمين في ذلك العصر التفات إليه ولا اشتغال به .

ويرد الشيخ محمد عبده في محاضراته تلك على الذين كانوا يرون أن الاصلاح أو التجديد « بدعة » فيقول : « يقول القائلون : إن طلب تغيير الطرق اعتناء بالجديد وولوع بالبدع أو نزوع لها ـ وليس الأمر كذلك ، فإن الجديد والبدعة هو ما نراهم عليه ، وقد ظهر أثره وعم ضرره ، فالقديم الحقيقي هو ما ندعو إليه ، ولا نجاح لنا إلا بالتعويل عليه »(٣).

وإذن فقد كانت دعوة الشيخ محمد عبده هي الرجوع إلى المنهج الاسلامي الأصيل في التربية والتعليم ، ونبذ الخرافات والجهالات والاستكانة والعجز التي أصابت المسلمين .

ولهذا نراه في ختام محاضرته يوضح المعنى الصحيح للتوكل ، بدلا من التواكل والخنوع الذي أصاب المسلمين باسم التوكل .

فيرد الشيخ على الذين يقولون : « إن الحالة الحاضرة هي ما قدر الله ، لا حيلة لنا فيه ، فالمرء متوكل على الله مسير بحسب القدرة ، فعلينا بتسليم أمورنا إليه

---

(١) المطول كتاب في البلاغة كان صعب الفهم على الطلاب .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٦
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٧

تعالى والتوكل عليه . . فيقول : والعجيب أنهم يظنون هذه الوساوس من العقائد الدينية ، ولكن الدين يتبرأ منها ، وما للدين عدو أضر من أمثال هذه الاعتقادات »[1].

ويبين الشيخ أن « الاحتجاج على ترك العمل بالقدر ، من عقائد الملحدين وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ فلا يسوغ لأحد منا وهو يدعي أنه مؤمن بالقرآن أن يحتج بما كان يحتج به المشركون ومن يزعم أنه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق ، لأنه إنما يدعي التوكل إذا طولب بأمر فيه مشقة عليه ، أو يجد في نفسه عجزا عنه ، لا سيما إذا كان في مصلحة عامة ، فهو يرضى بما يجد ، فإذا رجع أولئك المتوكلون إلى منافعهم الخاصة لم نجد للتوكل في نفوسهم أثرا »[2].

وقد كان هذا التوكل سببا من أسباب الجمود الذي أصاب المنهج التربوي الاسلامي في تلك الفترة ، إلى جانب الظلم والاستبداد والفقر والمرض ، والانصراف عن حقائق الاسلام إلى المظاهر والقشور .

وهكذا جمدت النظرية التربوية والتعليمية الاسلامية . . في ظل الاستبداد . . والفقر . . والجهل .

فلم يكن للدولة العثمانية سياسة مرسومة أو ملتزمة تجاه التعليم . . . : «فإذا احتاجوا مثلا إلى أي شيء من تعليم التمسوه عند بعض من يحسنونه أو قد لا يحسنونه ، وإذا استبد بهم داء التمسوا له الطب عند بعض العارفين أو الجاهلين ، وأمور الزراعة يدبرها أهل الفلاحة مع ملتزميهم ، وأمور الصناعة تجري على ما يرسم أهل الحرف في طوائفهم والتعليم في الأزهر والمساجد يسير على مألوف ما اعتاده العلماء والمجاورون من الطلاب ، يجري هذا كله دون أن تتدخل الدولة لترسم سياسة معينة لشؤون الزراعة أو الصناعة أو التعليم أو التطبب إلى غير ذلك مما تنهض به الدول الحديثة »[3].

---

(1) المرجع السابق ٢٢٧

(2) المرجع السابق ٢٢٨ ـ ٢٢٩

(3) في التربية الاسلامية للدكتور عبد الغني عبود ص ١٩٩

ولم يكن هذا اللون من التربية والتعليم كافيا لسد متطلبات النهضة والتقدم .

« والغريب أن « وزارة المعارف » العثمانية كانت تحس بعدم كفاية هذا التعليم القديم ، وعدم قدرته على توفير متطلباتها من القوى البشرية اللازمة لحاجاتها الدفاعية ، التي تحفظ كيان الامبراطورية في معترك الحياة الدولية على الأقل ، ولذا شرعت في إنشاء « مدارس جديدة » مستقلة عن المدارس القديمة وذلك وفق « الترتيب العملي » الذي ينبثق عن تطورات الحياة الاجتماعية ، والذي يتبع « تكون الشعور بالحاجة » تحت تأثير تلك التطورات ، لاوفق الترتيب « المنطقي » الذي يخطر بالبال عند التفكير في الأمر تفكيرا مجردا عن الاعتبارات الاجتماعية وتقاليدها . . »(١) .

وكانت الناحية العسكرية هي الباعث للدولة العثمانية على انشاء هذه المدارس . . وكانت المدارس المدنية الحديثة في خدمة هذه المدارس العسكرية .

الاستعمار الفكري للدول النامية :

أمام هذا الفراغ . . . في ساحة التربية في البلاد الاسلامية وجدت البعثات التبشيرية المجال المهيأ للغزو والتسلل والهيمنة على عملية التعليم شيئا فشيئا .

« فشرعت في سد ذلك الفراغ بانشاء المدارس الطائفية والأجنبية التي سمحت لها السلطات العثمانية بانشائها وإدارتها دون تدخل منها في شؤونها . فأما المدارس الطائفية فقد كانت في بادىء الأمر من نوع المدارس الدينية الحقيقية ، غير أنها تطورت بعد ذلك بسرعة وتحولت إلى معاهد تعليمية عصرية بكل معنى الكلمة . وكانت لغة التعليم التي اختارتها هذه المدارس هي اللغة العربية التي تتمكن بها من أداء رسالتها التبشيرية ، ولهذا السبب أيضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين بالرغم من قلة عدد هؤلاء بالنسبة إلى المسلمين . وأما المدارس الأجنبية فقد سارت في نفس الطريق الذي سارت فيه المدارس الطائفية ، وذلك لأن رسالة النوعين من المدارس واحدة ، ولذلك أخذت تهتم باللغة العربية بغية اجتذاب أبناء الشعب من

(١) المرجع السابق ص ١٩٩ - ٢٠٠ - وفيه اقتباس من الاستاذ ساطع الحصري .

جهة وتسهيل التأثير فيهم من وجهة أخرى ، وربما أنها كانت في باديء الأمر ـ من نوع المدارس ـ التبشيرية عامة ، كانت تأخذ طلابها من غير المسلمين ، وصارت تساعد بذلك على انتشار التعليم العربي بين هؤلاء أكثر من انتشاره بين المسلمين . »[1] .

وهكذا اصبحت المدارس التبشيرية والطائفية هي البديل لجمود المنهج التربوي الاسلامي الذي أصابه ما أصابه على أيدي العثمانيين في أواخر دولتهم ، ثم أيدي المستعمرين الاوروبيين الذين استولوا على البلاد الاسلامية بعد تخلي الخلافة العثمانية عنها . ويدلنا على هذا الجمود الذي أصاب مناهج التعليم في العالم الاسلامي أنه كان فيها الحذر من دراسة العلوم الحديثة ، مع أن الاسلام كما سبق أن أوضحت في الفصل الرابع من هذا البحث يجعل الحكمة ضالة المؤمن ويجعل دراسة علوم الحياة فرض كفاية على المسلمين ـ حتى لقد اضطرت الحكومة المصرية عندما أرادت أن تدخل العلوم الحديثة في برامج التعليم في عهد محمد علي إلى استفتاء شيخ الأزهر : هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء وغير هذا من سائر المعارف ؟ فيجيب الشيخ محمد الانبابي ـ في حذر ـ إن ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها[1] .

وقد كانت مناهج التعليم الاسلامي في عصور النهضة الاسلامية تستوعب علوم الدين وعلوم الدنيا ، وقد تمت ترجمة علوم اليونان وغيرهم في العصر العباسي الأول كما هو معروف . وبرع المسلمون في العلوم الرياضية والطبيعية والطبية والهندسية ، حتى كانوا الاساتذة الذين تعلمت منهم اوربا في كثير من العلوم والفنون .

ولكن جمود المنهج التعليمي في تلك العصور المتأخرة ، وما أصاب العالم الاسلامي من ذل وخوف وفقر وجهل ومرض أدى بهم إلى هذا التقهقر الذي مهد للغزو التبشيري وانتهى بهم إلى اتباع المناهج الغربية في التربية والتعليم .

---

(١) المرجع السابق ٢٠٠ ـ ٢٠١ وفيه اقتباس عن الاستاذ ساطع الحصري

كما يرجع الأستاذ أنور الجندي بأزمة التربية والتعليم في البلاد الاسلامية إلى ما هو أبعد من الاحتلال العسكري للبلاد الاسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين . . فيقول :

« يرد بعض الباحثين أزمة التربية والتعليم الاسلامية إلى وصول الحملة الفرنسية أو الاحتلال البريطاني لمصر أو الفرنسي للجزائر ، أو إلى محاولات محمد علي في الجري وراء التبعية الغربية ، تجاوزاً للازهر وحجبا له ، ملتقيا في ذلك مع الفرنسيين الذين عرفوا مقاومة الأزهر ، وما عرفه محمد علي من معارضة علماء الازهر وعلى رأسهم عمر مكرم لاستبداده وأهوائه ولكن الأمر أبعد من ذلك كثيراً وأشد عمقاً ونحن نعرف أن معركة حاسمة دارت بين الاسلام والغرب في مواطن مختلفة ، جاءت باسم الحروب الصليبية في قلب عالم الاسلام ، عايشها المسلمون بالمقاومة والجهاد قرنين كاملين وانتهوا منها بالنصر المؤزر ، كما انتهى عدوهم بالهزيمة الساحقة ، ولم يكن هذا نهاية الشوط بالنسبة للغرب ، ولم يتوقف في السيطرة على أرض الاسلام وبلاد الاسلام .

ومن قلب الحروب الصليبية وهزائم الغرب نبتت جذور تلك المؤامرة على ايدي المهزومين ، لقد نتجت عن الهزيمة فكرة خطيرة ، قالت هذه الفكرة : « إذا لم يكن السيف قادراً على السيطرة على المسلمين فليكن ذلك عن طريق الكلمة » . . كان المعروف أن المسلمين قد غلبوا الغرب ودحروه لأنهم متقدمون حضارياً وعسكرياً ، ومن خلال هذه المعارك انقض الغرب على تراث المسلمين ومناهجهم وعلمهم فاستوعبه ، ثم دك المعاقل واخرج منها اهلها ، واستولى على الجامعات والمعاهد والوثائق ، وقطع طريق العودة بين المسلمين واوربا . ومع محاولات الغرب إلى ترجمة الفكر الاسلامي والسيطرة على أرض هذا الفكر في الاندلس واخراج المسلمين منها ، كانت وصية لويس التاسع هي الضوء الكاشف أمام الغرب حين قرر أن تكون الحرب الموجهة إلى عالم الاسلام هي حرب الكلمة وحرب الفكر ، ذلك أن الغرب كان يعلم أن المسلمين لن يهزموا ولن يستوعبوا ولن يوضعوا في قبضة الغرب إلا إذا سقطت تلك المنارات العالية من مفاهيم الجهاد والمقاومة والحرية والتميز بالتوحيد والقرآن ، هذه العقيدة الراسخة كانت هي القوة الضخمة التي

كونت عالم الاسلام ، وكانت ولا تزال وستظل القوة القادرة على دحر كل من يتصدى له .

إذن فلا بد أن تبدأ المعركة من هذه النقطة الخطيرة : نقطة تزييف العقيدة وامتصاص حيوية الدعوة ، وتفريغها من مضامين القوة والايمان والجهاد ، حتى يفقد المسلمون هذا السر الخطير ، وحتى يصبحوا قطيعاً من السائمة التي يمكن أن تطوى وتقهر .

هكذا كانت وصية لويس التاسع بعد هزيمته في المنصورة ، تكشف عن التحول في الحروب الصليبية من السيف إلى الكلمة ، وهو ما يمثل الموجة الاستعمارية العصرية ، لقد كانت نهاية الحروب الصليبية بداية حرب الفكر والكلمة ، ومنطلق المخطط الجديد للغزو الفكري والثقافي ومحاولة دحر الاسلام كفكر بعد العجز عن القضاء عليه كقوة سياسية وأمة قائمة »(١) .

وهذه الوصية التي أشار إليها الأستاذ أنور الجندي قد ورد ذكرها في كلام مؤرخ الحروب الصليبية « رينيه جروسيه » إذ قال : « إن الملك لويس التاسع هو في مقدمة ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة . . »(٢) .

تبني مناهج بعيدة عن الإسلام :

« بدأ الغزو التربوي والتعليمي والثقافي للعالم الإسلامي من نقطة واحدة هي « مدرسة الارساليات » وامتد منها إلى الجامعة ثم امتد من الجامعة الى الصحافة ومجالات الثقافة المختلفة .

لقد اتخذت الارساليات التبشيرية ـ بناء على وصية لويس التاسع ـ خطواتها في أوربا للعمل في مواجهة الاسلام عن طريق الكلمة ، ثم اختارت الموقع الذي جعلته نقطة ارتكاز وانطلاق لدعوتها في بيروت ، التي اعدت لذلك اعداداً سياسياً واجتماعياً واضحاً . ثم تقدمت الارساليات على خطين : خط الارساليات

---

(١) التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام ص ١٢ ـ ١٣ « مرجع سابق »
(٢) المرجع السابق ص ١٧

البروتستانتية الامريكية ، وخط الارساليات الكاثوليكية الفرنسية ، ومن ثم وضعت فلسفة تربوية غربية تتراوح بين مذهبين مختلفين هما في الاصل يستمدان اساسهما من المسيحية الغربية ، ولكنهما يختلفان في الطريقة ويصلان في الغاية إلى هدف واحد هو استيعاب الشباب العربي والمسلم واحتواؤه وتعليمه على نحو يجعله يدا من أيدي القوة الغربية وعيناً من عيونها »[1] .

ويقول الاستاذ ساطع الحصري في تقريره عن مناهج التعليم في سورية « ان النظم العديدة التي وضعت في سورية ـ في عهد الانتداب الفرنسي ـ انما وضعت لتنفيذ سياسة مرسومة بوضوح واتقان ، ونستطيع أن نقول : ان غاية هذه السياسة كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية على معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات إلى ما تتطلبه أصول التربية السليمة والعلم الصحيح »[2] .

وينقل الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي في كتابهما « التبشير والاستعمار » عن المبشرة « آنا ميليقان » قولها :

« في فصول كلية البنات ـ القبطية ـ في القاهرة ، بنات آباؤهن باشاوات وبهوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يتسع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات ، تحت النفوذ النصراني ، وليس ثمت طريق إلى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة »[3].

ولا نستطيع هنا أن نتتبع كُل ما سجله الباحثون عن موضوع الغزو الفكري في ميدان التربية والتعليم والثقافة . . فقد ألفت في ذلك الموضوع كتب مستقلة ، ولكن الذي يعنينا هنا هو أن هذا الغزو مستمر في بلاد المسلمين حتى اليوم على تفاوت في درجات هذا الغزو ، فلاتزال المدارس التبشيرية راسخة الاقدام في كثير من بلاد المسلمين ، وما تزال المناهج الغربية في التربية هي المسيطرة . . حتى ليذكر الدكتور عبد الغني عبود في مقدمة كتابه « في التربية الاسلامية » سمع أنه أحد أساتذة

---

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام للاستاذ أنور الجندي ص ٢١ « مرجع سابق ».
(٢) وجهة التعليم في العالم الاسلامي (العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي) ص ١٥٧ (مرجع سابق)
(٣) وجهة التعليم في العالم الاسلامي « مرجع سابق » ص ١٥٨

التربية يقول : « انه لا يوجد ما يسمى بالتربية الاسلامية »(١).

« ومن عجب أن برامج التعليم في الأمة الاسلامية حتى اليوم غير موحدة ، وإنما يتجه بعضها إلى ما يريده أعداء الاسلام ، من معرفة ضئيلة بالاسلام ، ومن ثقافة مضطربة عن تاريخه ورجاله . . ومن مناقضة للحقائق الاسلامية في الدراسات المنقولة عن علماء الغرب دون تمييز . . وما ظنك بمن يدرس في علم الاجتماع أن المنهج العلمي هو الذي يقوم على نبذ الايمان بالغيب وعدم التصديق إلا بالمحسوس المشاهد ؟ !

انها نكبة اصابت المسلمين ولا تزال ، أن جيلهم الجديد لا ينشأ على ثقافة الاسلام ولا يدرك تصوره الحق للحياة بكل جوانبها إلا في بيئات قليلة من بلاد الإسلام »(٢) .

« لقد سيطرت النظريات الغربية الثلاث : الفرنسية والانجليزية والامريكية على المدرسة وفرضت أسلوبها وتجاهلت تماماً أي اعتبار للعربي أو للمسلم ، وانما حاولت أن تشكل هذا الدارس وكأنه غريب تماما عن بيئته وثقافته ، وكانت ظاهرة الانفصال عن الدين والاخلاق هي أبرز معالم المناهج الدراسية . وإذا كان الغرب قد اقام نظريته في التربية والتعليم على أساس ابعاد الدين عن التربية وفق تجربته مع المسيحية الغربية ، فإن الأمر كان مختلفاً مع الاسلام الذي هو ليس دينا فحسب ولكنه فكر وحضارة ومجتمع . والذي لم يقف موقف الصدام مع معطيات العلم أو حركة التقدم ، فلظروف خاصة بالغرب ثم انفصلت مناهج التربية والتعليم عن الدين الغربي ، ولكن هذه الظروف لم تواجهها المجتمعات العربية الاسلامية ، ولم تكن مناهج التربية والتعليم الاسلامية قادرة على أن تنفصل عن الاسلام الذي هو بمثابة الاساس المكين لكل مقومات المجتمع والعلم . والتربية الاسلامية تقوم أساساً على بناء الشخصية الانسانية على أساس الايمان بالله والمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي ، وهذا يعني أن فصل مقومات الخلق والعقيدة عن التربية من شأنه أن

---

(١) في التربية الاسلامية ص ١٢ « مرجع سابق »

(٢) ندوة المحاضرات لرابطة العالم الاسلامي بمكة ١٣٩١ هـ ص ٥٧ من محاضرة الدكتور مصطفى عبد الواحد بعنوان نحو نهضة اسلامية . شركة مكة للطباعة .

ينشىء شخصيات هشة ضعيفة لا تعرف مسؤوليتها، إزاء مجتمع يواجه التحدي الخطير الدائم من قوى الاستعمار الغربية المتسلطة بالغزو العسكري والسيطرة الاقتصادية »[1] .

إن تبني المناهج الغربية في مجال التربية ـ رغم مخالفتها للعقيدة والخلق في الاسلام ـ هو المسؤول عن هذا الصراع الفكري الذي يسود العالم الاسلامي ويعرض الشباب للفتنة . . ويجعلهم في حيرة من أمرهم ، لا يعرفون إلى أي أصل ينتمون ، وإلى أي ثقافة ينتسبون .

لقد كانت الدعوة ملحة منذ بدأت هذه التبعية التربوية والثقافية الى أن يوجه المسلمون وجوههم شطر الحضارة الغربية بمحاسنها ومساوئها .

يقول الدكتور طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » « فالمسلمون اذن فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شيء آخر .

وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في أوربا . . فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والاجناس »[2] .

« فأما الآن وقد عرفنا تاريخنا وأحسسنا أنفسنا ، واستشعرنا العزة والكرامة ، واستيقنا أن ليس بيننا وبين الاوروبيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ، ولا في المزاج فاني لا أخاف على المصريين أن يفتنوا في الأوروبيين »[3] .

ولايزال في بلاد المسلمين من يدعو مثل هذه الدعوة ، ومن يتقبل المناهج الغربية على انها مسلمات لا بد أن تقبل ، وخاصة في مجال التربية والتعليم .

---

(١) التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام للاستاذ / انور الجندي ص ١١٤ « مرجع سابق »
(٢) مستقبل الثقافة في مصر ١/١٧ ـ ١٨ (نقلا عن الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ـ الطبعة التاسعة ١٤٠١ هـ.
(٣) المصدر السابق ١/٦٣

وهذا مكمن الخطر الذي يجب على المسلمين الانتباه له حتى يستطيعوا تنشئة أجيالهم على مبادىء الاسلام .

« يجب تدارك الكارثة التي تصيب العالم الاسلامي خاصة ، والعالم كله عامة . ، وانقاذ العالم الاسلامي من نظام التعليم الغربي القائم على اللادينية والمنفصل عن القيم الأخلاقية والدينية والقيام بمحاولة جادة ومخلصة لاعادة بناء النظام الأكمل الذي يستوعب التقدم المادي والخلقي معا ، ويشمل الدين والدنيا ، في تصور جامع وتركيب منسجم وهو نظام التعليم الاسلامي .

إن الغزو الغربي واكتساح نظام التعليم الغربي للبلاد الاسلامية أدى إلى عملية تهديم الاسلام وجميع المثل العليا والقيم التي بها يمكن أن يتقدم الانسان ويسمو في حضارته في تقدم حقيقي مستمر ، ولا شك أن النظام التقليدي الموروث للتعليم ليس هو النظام الاسلامي المثالي لما طرأ عليه خلال العصور من ضعف ونقص وانحراف ، ولذلك فانه في تراجع مستمر »[1] .

هذه هي المشكلة التربوية في العالم الاسلامي : الغزو الثقافي ، وعدم وجود بديل كاف من البحوث والنظريات في مجال التربية الاسلامية يغني المسلمين عن التطلع الى غيرهم في هذا المجال .

---

(١) كتاب المؤتمر الأول العالمي للتعليم الاسلامي ص ١٥ ـ ١٦ « مرجع سابق »

الفصل السابع

نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

الفصل السابع

نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

انتهى هذا البحث خلال القضايا التي تناولها إلى النتائج الآتية :

١ ـ إن الفلسفة التربوية اليونانية في شطريها المثالي والواقعي . . لا تصلح للتطبيق في المجال الانساني العام . . لأن هذه النظريات صيغت على أساس تقسيم الناس إلى أحرار وعبيد ، وعلى أساس اعلاء شأن اليونان على من عداهم من الأمم . . بالاضافة إلى أن العقيدة الدينية التي كانت وراءها هي عقيدة وثنية تقوم على الايمان بتعدد الآلهة وعلى وجود انصاف الآلهة وهم الابطال . كما يظهر عند افلاطون خاصة مقاومة الدوافع الفطرية في الانسان ، كالأبوة والأمومة والانتماء إلى الأسرة . بينما يدعو إلى اباحات العلاقات غير المشروعة ، مما يؤدي إلى هدم نظام الأسرة .

٢ ـ إن الفلسفة التربوية الطبيعية التي دعا اليها جان جاك روسو نزعة مناقضة للقيود التي دعا إليها فلاسفة اليونان ، وأن مفهوم الطبيعة عنده غير محدد المعنى ، مما أدى إلى تفسيره بثلاثة معان . ولم يسلم هذا المذهب من النقد لأن روسو كانت العواطف والاهواء والحواس قائدة عنده في هذه الحياة .

٣ ـ إن فسلفة « جون ديوي » التربوية بعيدة عن العقيدة الدينية ، بل هي تعتبر الايمان بالغيب خرافة ، كما أن الاخلاق فيها غير ثابتة وليس لها مقياس تقاس به ، وان هذه الفلسفة أحدثت هزة في المجتمع الذي ظهرت فيه ثم في المجتمعات الأخرى التي اتبعتها .

ومن المؤسف أن كثيراً من الباحثين العرب والمسلمين في مجال التربية قد فتنوا بهذه النظرية ، رغم أنها في جملتها تهدم العقيدة الدينية والخلق القويم وتخرج اجيالا لا تعرف الا المادة ولا تنظر إلا إلى المصلحة الحسية .

٤ ـ ومن هنا أظهر هذا البحث عجز الفلسفات التربوية القديمة والحديثة عن معالجة مشكلات الانسان التربوية ، والوصول إلى نظرية كاملة لا مجال للطعن فيها ، ولا تنشأ عنها مشكلات معقدة ، وإن هذه النظرية الكاملة لا توجد إلا في الفكر الاسلامي التربوي الأصيل النابع من الكتاب والسنة واجتهاد علماء الاسلام .

٥ ـ ان العالم الاسلامي المعاصر يعاني من مشكلة تربوية خطيرة تظهر في حيرته أمام النظام التربوي الذي يسير عليه فهناك من يدعو إلى التمسك بالتراث ، وهناك من يدعو إلى التجديد والمعاصرة ونسيان الماضي . . وان أثر هذه الحيرة قد أدى إلى ازدواجية في الفكر التربوي وفي الثقافة ، كما أدى إلى أن المادة التربوية المتداولة في العالم الاسلامي لا تنطلق من منطلق اسلامي ، وان المناهج التعليمية في البلاد الاسلامية ـ في جملتها ـ عاجزة عن تكوين المسلم القوي في عقيدته الموصول بتراثه المتمكن من علوم العصر المحتفظ بالأصالة .

٦ ـ ان الطريقة التي تتبع في المدارس في البلاد الاسلامية لا تؤدي إلى تكوين باحثين . . كما انها اخفقت في تخريج أبناء يحملون رسالة الاسلام يعيشون في سبيلها ويناضلون من أجلها .

٧ ـ إن غياب منهج التربية الاسلامية الصحيح القادر على مواجهة مقتضيات التغيير والتطور هو المسؤول عن الفوضى في مجال التربية في العالم الاسلامي وهو المسؤول عن الانبهار بفلسفات الغرب التربوية التي يحاول الشرق أن يلاحقها ويسايرها دون جدوى .

٨ ـ ان العرب لم يعرفوا التعليم المنهجي قبل الاسلام وأن بعثة الرسول ﷺ كانت ايذانا بانتقالهم في حياتهم الدينية والتربوية من حال إلى حال وأن محاولة بعض الباحثين في التربية العربية قبل الاسلام اثبات وجود مناهج تربوية عند العرب في

الجاهلية أو تأثرهم ببعض الحضارات التي كانت سائدة في ذلك الحين - محاولة لا تؤدي إلى نتيجة صحيحة .

٩ - ان بعض الباحثين قد يقعون في غلط حين يتحدثون عن التعليم وتاريخه في الاسلام باعتبار ذلك حديثا عن التربية في الاسلام دون أن يبينوا أسس هذه التربية كما جاءت في القرآن والسنة . وإن التعليم هو أحد وسائل التربية الاسلامية .

١٠ - ان من الممكن في التربية الاسلامية التوفيق بين اتجاه التلقين ونقل الخبرات من المربي إلى الطفل ، واتجاه الاقناع الذي يستلزم حكمة المربي وذكاءه في التبصير والتعليم . وان ذلك اتباع لمنهج القرآن في بيان الحقائق مقرونة بأدلتها .

١١ - إن حق التعليم مكفول للفرد في ظلال التربية الاسلامية وليس في الاسلام سن معين ينتهي عنده طلب العلم .

١٢ - إن التربية الاسلامية تنمي مواهب الفرد واستعداداته لتخدم غاية الوجود الانساني كما حددها الله سبحانه .

١٣ - إن الفرد الذي تكونه التربية الاسلامية هو الانسان المثالي المتوازن الشخصية ، الذي عجزت الفلسفات التربوية الأخرى عن تكوينه بهذه الصورة .

١٤ - إن التربية الاسلامية تغرس الروح الجماعية في قلب الفرد المسلم . وان تكوين المجتمع المسلم هو الهدف من التربية الاسلامية .

١٥ - ان المبادىء التربوية الاسلامية لا تتحقق في المجتمع الا إذا التزمت بها المؤسسات التربوية التي تتولى التنشئة واهمها البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام .

١٦ - إن التربية الاسلامية تستلزم مطالبة وسائل الاعلام في المجتمع الاسلامي بالالتزام بالمبادىء والاخلاق الاسلامية حتى تسهم في بناء الشخصية الاسلامية على مبادىء الاسلام .

١٨ - إن هجوم التربية الغربية على العالم الاسلامي لم يكن لينجح لو لم يجد

المجال مهيأ امامه لملء الفراغ وقد بدأ انحسار موجة الثقافة والعلم في المجتمع الاسلامي في أواخر عهد الدولة العثمانية .

١٨ ـ إن دعوات المصلحين المسلمين في هذا العصر كانت رجوعا إلى المنهج الاسلامي الاصيل في التربية والتعليم ، ونبذا للخرافات والجهالات .

١٩ ـ إن روح التواكل والعجز التي أصابت المسلمين في القرون الأخيرة كانت سببا من أسباب الجمود الذي أصاب المنهج التربوي الاسلامي الى جانب الظلم والاستبداد والفقر والمرض والانصراف عن حقائق الاسلام إلى المظاهر والقشور .

٢٠ ـ أن المدارس التبشيرية والطائفية ، تسللت إلى البلاد الاسلامية بسبب جمود المنهج التربوي الاسلامي الذي اصابه ما أصابه على ايدي العثمانيين في أواخر دولتهم ، ثم على أيدي المستعمرين الأوروبيين الذين استولوا على البلاد الاسلامية بعد تخلي الخلافة العثمانية عنها .

٢١ ـ إن الغزو الفكري في ميدان التربية والتعليم والثقافة مستمر في بلاد المسلمين حتى اليوم .

٢٢ ـ إن تبني المناهج الغربية في مجال التربية هوالمسؤول عن الصراع الفكري الذي يسود العالم الاسلامي ويعرض الشباب للفتنة ويجعلهم في حيرة من أمرهم لا يعرفون إلى أي أصل ينتمون وإلى أي ثقافة ينتسبون .

٢٣ ـ إن المشكلة التربوية في العالم الاسلامي هي الغزو الثقافي وعدم وجود بديل كاف من البحوث والنظريات في مجال التربية الاسلامية يسد الفراغ التربوي ويغني المسلمين عن التطلع الى غيرهم في هذا الجانب .

التوصيات :

في ختام هذا البحث الموجز عن النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي وتوقفها عن التأثير في حياة المجتمعات الإسلامية بعد فترة من التخلف والضعف لأسباب تاريخية معروفة ، أعقبها هجوم استعماري عسكري

وثقافي واجتماعي وتربوي على بلاد المسلمين استهدف تغيير أحوالهم وتبديل شخصيتهم والقضاء على أصالتهم واستقلالهم الفكري .

لا يسعني إلا أن أسجل بعض المقترحات والتوصيات التي ظهرت لي أثناء قراءتي وبحثي في هذا الموضوع الجديد من موضوعات التربية الاسلامية . . :

١ ـ وجوب تحليل الفكر التربوي بمدارسه المختلفة وعرضه على المبادىء الاسلامية ، فما وافقها قبلناه واعتبرناه من الحكمة التي يجب على المسلم البحث عنها ـ وهو أحق بها كما جاء في الحديث الشريف ، وما خالفها منه رفضناه وحذرنا منه ودعونا المسلمين في كل الأقطار إلى نبذه والتخلي عنه .

٢ ـ ينبغي العناية بالكتابة العلمية في موضوع التربية الاسلامية ، فالحقيقة التي ظهرت لي من خلال هذا البحث أن كتب التربية الاسلامية ليست عميقة بالقدر الذي يوضح النظرية التربوية الاسلامية بل يختلط فيها الوعظ بالتاريخ بالتعليم بالثقافة والتربية .

ولا يكفي في هذه الكتب سرد النصوص القرآنية والنبوية دون تحليلها تحليلا دقيقا يوضح الحقيقة التربوية فيها .

وبعض الكتب التي تتحدث عن التربية الاسلامية تظهر كأنها تتحدث عن الاسلام كله عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقا وتاريخا . . والواجب العلمي هو تحديد الموضوع التربوي فيها تحديدا دقيقا يستفيد منه طلاب التربية والباحثون فيها .

٣ ـ ان الحديث عن دور المسجد لا ينتهي بالتذكير بهذا الدور كما كان في الاجيال السابقة ، ولا بد من توضيح الدور التربوي للمسجد في الحياة المعاصرة وكيف يكون .

٤ ـ ان الضرورة تقضي ببحث وسائل الوحدة التربوية في العالم الاسلامي ، بالاتفاق على سياسة تربوية اسلامية واحدة ، ومحاولة توحيد مناهج التعليم في العالم الاسلامي ، كما كان ذلك قديما حينما كانت الكتب والمناهج لا تختلف من بلد اسلامي لآخر . . وبغير هذه الوحدة سيبقى الاضطراب والخلط في النظم التعليمية .

٥ ـ ينبغي العناية بوسائل الاعلام وبحث سبل الاستفادة التربوية منها طبقا لمنهج الاسلام بدلا من الاكتفاء بمعاداتها والتحذير منها .

٦ ـ يجب اعادة النظر في نظام الكتاتيب في القرى والبوادي وتطويره بمنهج تربوي سليم للاستفادة منه في تعليم القرآن ومحو الأمية في البلاد التي لا تصل إليها المدارس(١) .

٧ ـ العناية بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الاسلامية اذ أن الفقر والمرض والتخلف يؤدي إلى العجز والضعف في ميدان التربية والتعليم .

٨ ـ رسم السبل الكفيلة بالقضاء على آثار الغزو الفكري في المجتمع الاسلامي وتطهير البلاد الاسلامية من مدارس الارساليات والتبشير المسيحي وتحذير المسلمين من ارسال أبنائهم إليها .

٩ ـ الاكثار من المدارس النموذجية في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي على أن تكون واضحة التصور للمنهج التربوي الاسلامي .

١٠ ـ مراجعة كتب التربية التي تدرس في كليات التربية لتكون متفقة مع المنهج التربوي الاسلامي وحذف ما يظهر فيه الانبهار بالفلسفات التربوية الغربية المنافية للمبادىء الاسلامية .

١١ ـ تحليل كتب التراث الاسلامي في الجانب التربوي للافادة منها في ميدان الدراسة للتربية الاسلامية .

والله المسؤول أن يهيىء لهذه الأمة من أمرها رشداً وأن يقيّها شر الفتنة ، وأن يحبب اليها الايمان ويزينه في قلوب أبنائها . . وأن يكره إليها الكفر والفسوق والعصيان . .

انه نعم المولى ونعم النصير . .
والحمد لله رب العالمين .

---

(١) نظرات أسلامية للانسان والمجتمع للدكتور رشدي فكار ص ٥٣ مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ

المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ السنة المطهرة

٣ ـ ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

٤ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ـ القاهرة ـ مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م ـ الطبعة الثانية .

٥ ـ ابو الحسن الندوي : نحو التربية الاسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية ـ القاهرة ـ المختار الاسلامي ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م الطبعة الثانية .

٦ ـ د. أحمد شلبي : التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ م الطبعة السادسة .

٧ ـ افلاطون « جمهورية افلاطون » ترجمة نظلة حكيم ومحمد مظهر سعيد ـ القاهرة دار المعارف الطبعة الثالثة .

٨ ـ أنور الجندي : التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ـ ١٩٧٥ م الطبعة الاولى .

٩ ـ د. بشير حاج توم : تأصيل ترتبة المعلم ، مكة المكرمة ، مطابع الصفا ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

١٠ ـ د. سيد ابراهيم الجيار ـ دراسات في تاريخ الفكر التربوي ـ القاهرة مكتبة غريب سنة ١٩٧٧ .

١١ ـ د. سيد ابراهيم الجيار/ التربية ومشكلات المجتمع ـ القاهرة ـ مكتبة غريب ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م الطبعة الثانية .

١٢ ـ د. فاخر عاقل : التربية قديمها وحديثها ، بيروت ـ دار العلم للملايين ، ١٩٨١ م ـ الطبعة الثالثة .

١٣ ـ عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الاسلامية واساليبها- دمشق دار الفكر ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ـ الطبعة الأولى .

١٤ ـ د. عبد الغني عبود : في التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٧٧ م الطبعة الأولى .

١٥ ـ عبد الكريم عثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ـ القاهرة مكتبة وهبة ـ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م الطبعة الثانية .

١٦ ـ د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين سنة ١٩٧٣ م ـ الطبعة الأولى .

١٧ ـ د. عبد الله عبد الدايم : التربية في البلاد العربية ـ بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٩ م ـ الطبعة الثالثة .

١٨ ـ د. عثمان أمين : محمد عبده ـ القاهرة ١٩٤٤ ـ مطبعة عيسى الحلبي .

١٩ ـ د. عمر محمد التومي الشيباني : تطور النظريات والأفكار التربوية بيروت ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٥ م الطبعة الثانية .

٢٠ ـ كلية التربية بمكة المكرمة جامعة أم القرى : ندوة بحوث خبراء أسس التربية الاسلامية بمكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ .

٢١ ـ د. محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ـ

القاهرة ـ مكتبة وهبة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ط. تاسعة .
٢٢ ـ د. محمد أحمد الغنام : تعليم الأمة العربية ـ القاهرة ـ مطبعة التقدم سنة ١٩٦٩ م .
٢٣ ـ محمد رشيد رضا : تفسير سورة الفاتحة ـ القاهرة ـ مطبعة المنار سنة ١٣٥٣ هـ.
٢٤ ـ محمد عطية الابراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ القاهرة مطبعة عيسى الحلبي ـ ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م ـ الطبعة الثالثة .
٢٥ ـ محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ دار الشرق سنة ١٤٠٠ هـ الطبعة الرابعة .
٢٦ ـ د. محمد منير مرسي : اصول التربية الثقافية والفلسفية ـ القاهرة عالم الكتب سنة ١٩٧٧ م .
٢٧ ـ د. محمد الهادي عفيفي : في اصول التربية ـ القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ سنة ١٩٧٨ م .
٢٨ ـ د. محمود السيد سلطان : بحوث في التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٧٩ م .
٢٩ ـ د. مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن ـ القاهرة ـ مكتبة المتنبي ـ سنة ١٩٧٥ م ـ الطبعة الرابعة .
٣٠ ـ د. ملك أبيض : التربية والثقافة العربية الاسلامية في الشام والجزيرة ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٨٠ م طبعة أولى .
٣١ ـ د. نبيه يس : ابعاد تطور الفكر التربوي ـ القاهرة مكتبة الخانجي ـ ١٩٧٩ م .
٣٢ ـ ندوة المحاضرات لرابطة العالم الاسلامي ـ مكة المكرمة سنة ١٣٩١ هـ مؤسسة مكة للطباعة .
٣٣ ـ وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية :
العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي ـ مكة المكرمة ـ عام ١٣٩٢ هـ.

فهرست

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضـوع الصفحة